

روايات مصرية للجيب

أسطورة الكاهن الأخير

هاوراء الطبيعة

١١



روايات مصرية للجيب

٥٢٧٤٩

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة الكاهن الأخير

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

الكاهن الأخير يعرف كيف يقاتل ،
الكاهن الأخير يعرف كيف يتخفى ،
الكاهن الأخير يعرف كيف يتظاهر بالخرس
حيناً وبالبلاهة حيناً ، الكاهن الأخير لا يشق
بأحد .. لأن أعداءه لا يرحمون .. والموت
جزاء أدنى خطأ .. ، الكاهن الأخير
يتحداك .. فهل تقبل
التحدى ؟!

العدد القادم : أسطورة البيت

الشن في مصر

وما يعادله الدولار
الأمريكي في سائر
الدول العربية
والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
٩٠٨٢٥٥ - القاهرة

١١

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

أسطورة

الكاهن الأخير

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

مراجعة لغوية

الأستاذ/ محمد شفيق عطا

إشراف

الأستاذ/ حمدى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

١١

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس

من فرط الغموض والرعب والإثارة

الكاهن الأخير

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق



مقدمة

دكتور (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم المتقاعد
غير المتزوج ، الذى تحذى كل قواعد الطب ودراسات
الشيخوخة وعاش حتى هذه اللحظة - برغم أمراضه
العديدة - كى يحكى لكم ذكريات شبابه .

مريض بالذبحة الصدرية .. نعم ..

معتل البنيان .. عصبى المزاج .. نعم ..

مصاب بتصلب الشرايين .. نعم ..

لكنى أحتفظ لنفسى بشيء واحد لم أفقده بعد ، ألا وهو
ذاكرتى التى تحتفظ بكل شبح وكل مسخ وكل كابوس
صادفنى فى رحلتى الطويلة التى أفنيتهما بين المقابر
والقصور المسكونة والمستنقعات التى تجوبها
الشياطين ...

لم أنس شيئاً ...

ولكم سأحكى كل شيء بلا تردد ..

لأنكم أصدقائى الوحيدون ، وآخر من بقى لى فى هذا
العالم ..

لحظة واحدة حتى أخفض صوت (التلفزيون) بعدها
أعود لكم كي أسألكم عن القصة التى أحكيها اليوم ...
هل تحبون قصص مصاصى الدماء فأحكى لكم أسطورة
الشاحبين ؟

أم تحبون حكايات السحرة فأحكى لكم أسطورة الساحر
الأسود ؟.. أم أنتم مغرمون بالنباتات الشيطانية فأحكى
أسطورة النبات المنسى ؟

... أراكم سنتم الرعب وتريدون بعض التغيير ..
ولم لا ؟.. سأحكى لكم اليوم قصة لا رعب فيها ..
ولكنها مفعمة بالغرابة وكل ما فيها يتحدى المنطق ...
لقد قابلتم - فى قصتى الثامنة على ما أذكر - الثنائى
المتماثل (سالم) و (سلمى) وهما ضيفان على حكاياتى ،
لكننى أحبهما برغم كل شيء ..، واليوم تقابلون ضيفاً
جديداً هو (الأخرس) .. لا تندهشوا !.. فهذا هو اسمه
الذى كان نعته يوماً ما ..، أما اسمه الأصيل فهو
(هن-تشو-كان) ، وأعتقد - وأنتم توافقوننى - أن
(الأخرس) أسهل لفظاً وإن كان أقل أناقة من الاسم
الأصيل لهذا الفتى ..!!..

ستكون رحلتنا طويلة حقاً ..

وستعرفون السبب بعد قليل ..

★ ★ ★

١ - الزهرة الزرقاء ..

كان (هن - تشو - كان) زهرة زرقاء ...
هل رأى أحدكم زهرة زرقاء ...!؟
هناك زهور حمراء وبيضاء وبنفسجية .. لكن
(هن - تشو - كان) كان زهرة زرقاء ..
هكذا قال له الكاهن الأكبر وهو يضفر له جدائله
الطويلة المناسبة :

- « أنت يا (هن - تشو - كان) زهرة زرقاء بين ثلوج
(التبت) .. إن الزهور الزرقاء ساحرة الجمال نادرة
كالياقوت، لكن أحدا لا يفهمها .. والزهور الأخرى
تحسدها .. لهذا - إذا أنت وجدت زهرة زرقاء - لا تنتظر
أن تكون سعيدة .. » .

نعم .. كان (هن - تشو - كان) زهرة زرقاء ..
ومن هنا تبدأ قصتنا ..



ثلوج (التبت) العاصفة .. والظلام .. وحيوان (الياك)
ذو الفراء الكث الدافئ .. والدير الجائم فوق أكداس
الجليد ..

لا تذكر متى ولا كيف وجدت نفسك فى ذلك العالم ،
لكنك - حتماً - دخلته وأنت بعد طفل مذعور شاحب الوجه
متلاحق الأنفاس ، تمشى بخطأ مرتجفة متشبثاً بذيل عباءة
أمك وهى تتقدم إلى الكاهن الأعظم المتربع القرفصاء على
صخرة (النرفانا) :

- « هو ذا ابنى أيها الكاهن الأعظم .. وكنت قد نذرت
للدير لو عاش حتى يرى عشرة فصول شتاء .. » .
هل كانت تأنكم الجمرتان المتقدمتان هما عيناه ترمقانك
فى اهتمام من تحت حاجبين كثين كغراء (الياك) ؟ ..
- « اقترب يا (هن - تشو - كان) .. » .
كيف عرف هذا الرجل اسمك ؟ .. إن أحداً لم يخبره به ! ..
- « أنت لم تعد (هن - تشو - كان) .. بل أنت الزهرة
الزرقاء .. غريب مثلها .. نادر مثلها .. جميل مثلها ..
حزين مثلها .. » .

وعلى رأسك مسح وحك أنفة الضخم البارد بأنفك
الأحمر الدافئ محيياً ..
عندئذ عرفت أن هذا الدير هو بيتك وغدك ..
وعرفت أن (النافاراى) ستكون فلسفة حياتك ..

★ ★ ★

يقول الأخ (ميانج) :

- « عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق .. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي) .. » .

★ ★ ★

وعلى ضوء الشموع كان (هن - تشو - كان) يدرس الـ (بهاجافاجيتا) الكتاب الذى يربط البوذية بالهندوك ، فى حين يجلس أمامه الكاهن الأعظم يحسو الشأى بالزبد ويصح له ألفاظه .. ويجب عن أسئلته :

- « هل نحن بوذيون أيها الأيخ الأكبر ؟ » .

- « لسنا بوذيين » .

- « هل نحن هندوس ؟ » .

- « لسنا هندوساً .. » .

- « إذن نحن كونفوشيوسيون .. » .

- « ولا هذا يا بنى ... » .

- « إذن من نحن ؟ .. » .

تتسع عينا الصغير فى حيرة برينة .. إذ يجيبه الكاهن فى رزانة وتؤدة :

- « نحن (نافاراي) يا بنى ... » .

ويحسو جرعة أخرى ويغمغم :

- « نحن نأخذ أفضل شئ من كل شئ لسنا

سليبيين كالبوذيين .. ولا عبدة أبقار كالهندوس ..

ولا غارقين فى فلسفة غامضة كالكونفوشيوسيين .. » .

★ ★ ★

يقول الأخ (ميانج) :

- « لماذا تحرق النار ؟ .. لأنها نار ! ... لماذا يطفئها الماء ؟ .. لأنه ماء .. ! ... لماذا يرتوى به النمر ؟ .. لأنه نمر ! .. » .

تتسع عينا الصغير أكثر .. ويهمس :
- « لا أفهم ... » .

يبتسم الأخ (ميانج) فى رزانة .. ويربّت كتفك :
- « لكنك - يوماً - تفهم .. وعندئذ تكون (نافاراي) حقيقياً ! .. » .



وتهب العواصف الثلجية ..

ويخرج الرهبان وسط الثلوج حافى الأقدام لا يحملون
سوى عصيهم ويقفون فى مهب العاصفة يتكاثف الثلج
فوق عوارضهم وأنوفهم ، لكنهم لا يتحركون
ولا يرتجفون ..

تصطك أسنانك وتفقد الإحساس بأناملك التى تحترق
أعصابها لكن الأخ (ميانج) يهمس لك :
- « إن الطبيعة لا تؤذى أطفالها .. ثق بها ودعها تحنو
عليك .. » .

لكنك ترتجف .. ترجف .. وتشعر أنك تموت ..

- « (النافاراي) لا يشعر بالبرد أبدًا لأنه يملك ناره الداخلية .. » .

وبعد ثوان تشعر أنك في حال أفضل .. وتزول الزرقة المشنومة عن ساقيك وأطراف أناملك ...، ها هي ذى الحرارة الداخلية التى يتحدثون عنها تسرى في أجزاء جسدك ..

- « إن الكون ليس سوى ما تعتقده فيه .. أغمض عينيك وتخيل شمسًا حارقة في صحارى المغول وقافلة جمال .. » .
تغمض عينيك وتحاول .. تحاول .. تحاول ...، الأمر صعب لكنك تريده بعمق ...، وفجأة يتصايح الرهبان بصيحات الإعجاب والانبهار ...، ويدنو منك الأخ (ميانج) ليمسح جبينك .. ويهتف:

- « لقد فعلتها !.. إن العرق يملأ جبينك ! » .
وعلى كفه تجد أربع قطرات ماء تحولت إلى أربع ندف ثلج بعد ثوان !

لحظتها عرفت أنك ستكون منهم يومًا ما ..



أما الأخ (وين - بياو) فكان يثير دهشتك بخاصية الارتفاع في الهواء حين يصل إلى حالة (النرفانا) الكاملة ...، كان ينظر للأرض في تركيز وقد قطب جبينه .. ثم فجأة ترتفع قدماه عن الأرض ببطء شديد قائمة أو قائمتين وهو في غيبوبة عميقة ..



أما الأخ (وين - بياو) فكان يشير دهشتك بخاصية الارتفاع في
الهواء حين يصل إلى حالة (النرفانا) الكاملة ..

ثم إنه ينزل إلى الأرض ببطء بعد دقائق ، ويحدثك
بكلمات غامضة يقولون إنها (أسرار الكون) ..
وكنت تتساءل عن الكيفية التى يصل بها المرء إلى هذه
الدرجة العالية من الشفافية .. فكانوا يقولون لك :
- « هو مستو عال جدًا من النقاء لا يصله سوى
قليلين ، والسر لا يفصح عن نفسه لكنك ستجد نفسك محققًا
ذات يوم .. فقط إذا ما تخلّيت عن ماديّتك .. » .



كانت عضلاتك تتكور ، وصوتك يزداد خشونة ، وفوق
شفتك العليا ازدهر الزغب كنسيج عنكبوت استقر هناك ..
كانت قوى غريبة تسرى فى عروقك ، وثمة روح
مجنونة ثائرة تحاول الخروج من جسدك ..
يومها قادوك إلى الكاهن الأعظم المتربع داخل الدير
وحوله الشموع .. ليقول لك وهو يرشف الشاي بالزبد :
- « مرحى .. ها أنت ذا قد صرت رجلًا ، وعليك أن تتعلم كيف
تكون (نافاراي) حقيقيًا ، ولكن - يا بنى - أنت تعرف أن
أسرارنا هى سلاسل من الفولاذ تشدنا لهذه الأرض .. ومتى
تلقيت أسرارنا ربطت نفسك ما حييت بهذا الدير .. » .
ثم تقلص وجهه فى شيء من القسوة وأردف :

- « .. فهل أنت حقا راغب في الحياة هنا أبدا ١٢ » .
رهبة الاختيار والمصير الذي تقرره كلمات .. وعجزك عن
الكلام لأن لسانك انحسر في فمك .. ثم - بعد دقائق - همست :
- « نعم .. ! » .

- « أعد القول .. ! » .
بصوت أعلى هتفت :
- « نعم .. ! » .

لم تكن تعلم شيئا عن الغد .. لكن العالم الخارجى كان
غامضا مسربلا بالظلال خاليا من كل ما يجذبك إليه ، والحقيقة
الوحيدة المؤكدة هي أنك تحب هذا المكان وتأنس لهؤلاء القوم
وتعرف كل شيء عنهم .. أما هؤلاء الآخرون ..
- « فكر جيدا .. إن (النافاراي) لا يتزوج ولا يلمس
النساء .. » .

آه .. كيف تتجاهل كل العواطف البكر المصطرعة في
شغاف قلبك ، والتي تتمنى أن تهديها يوما لفتاة مالها ضفيرة
طويلة وقدمان دقيقتان ١٢ .. إن هذا يبدو شاقا ...
- « لا يحق لك (نافاراي) أن ينجب حتى لا تسلبه ذريته
إخلاصه وحكمته .. فهل حقا تفهم مغبة ذلك ١٢ » .

★ ★ ★

سأل أحد تلاميذ (جوتاما) (★) أستاذه :
- « كيف نتصرف يا سيدي إزاء النساء ؟ » ..

(★) الاسم الأصلى - (بوذا) .

قال (جوتاما) :

- « لاتروهني يا (أناندا) ...! لا تحدثوهني يا (أناندا) ! » .
وإذا تحدثت إليكم واحدة منهن فلا تكثرث لما تقول
يا (أناندا) ! ..

★ ★ ★

لمدة شهر كامل كان الكاهن الأعظم يدعو ليعيد
السؤال مع زيادة جرعة التصعيب في كل مرة ... وكانت
الإجابة دائماً :

- « نعم ... » .

قاموا بتجويعه أياماً ووعدوه بالطعام الشهى إن
قال لا ... تركوه في البرد والظلام ساعات ووعدوه بالدفء
إن قال لا ... حرموه من النوم يومين كاملين ووعدوه
بتركه وشأنه إن قال لا ..

. لكنه كان - حقاً - يرغب في أن يظل معهم للأبد ..

وجاء اليوم الذي بدأ فيه رحلة (النافاراي) ، فوشموا
ظهره بوشم التنين المجنح ، وثبتوا له قرطاً في الأذن
اليسرى ، وعقصوا شعره الطويل الأسود خلف رأسه كذيل
حصان ، وارتنى البيجامة الزرقاء السماوية المميزة
لهم ..

لقد صار يشبههم وإن لم يصر بعد منهم ..

★ ★ ★

يقول الأخ (ميانج) :

- « الحكمة ذبابة خضراء مهما حاولت اقتناصها بالجهد تفشل ، فإن أنت نسيت أمرها وجلست تتأمل ؛ حطت على ذراعك من تلقاء ذاتها !.. » .
ثم يقول لك وهو يشعل الشموع :
- « لكنهم يقتلون الذباب الأخضر وعليك أن تعرف كيف تحميه ! » .

وفجأة - دون توقع - تهوى صفة ساحقة على خذك !..
أنت لم تريده تمتد .. ولم تتوقع أية خيانة من هذا القبيل ..
تنهض في تحفز شاعراً بالإهانة وخذك يتوهج بالدماء ..
- « هيا !.. انتقم لنفسك أيها الضفدع ! » .
لم تتوقع هذا من الأخ (ميانج) الرصين الهادئ ..، ثم إنك لا تجرؤ على رد ضربته فهو معلمك قبل كل شيء .. و..
صفة أخرى لم تر نذيراً لها ...
- « (النافاراي) كرامة .. وهو لا يترك أحدا يصفعه ! » .

الغريب أنه لم يزل جالساً في نفس الوضع المتأمل الرزين كأنه لم يفعل شيئاً ..
صفة ثالثة على خذك جعلت الدماء تملأ مقلتيك ، وفي حنى وثبت نحو الأخ (ميانج) لتمنعه من المزيد من الإهانات ..

- « بطيء جدًا أيها الضفدع ! » .

كذا يقول لك وهو يروغ بجذعه - دون أن يغير جلسته -
من هجماتك المتتالية .. ينجنى يمينا .. يسارا .. خلفا ..
أماما .. كل ضرباتك تذهب فى الهواء كأنك تحاول سحق
ذبابه خضراء دون جدوى ..

- « هيا .. حاول ، أسرع ! » .

وفى النهاية اندفعت بجسدك كله نحوه ، لكنه وثب
- كالشعلب - جانباً فارتطم رأسك بالجدار الصخري خلفه ..

وبعد هنيهة رفعت وجهك المبتل من على الأرض ..
هل كانت دموعاً أم دماء ؟ .. لا تذكر .. فكلاهما مالح
الطعم ممزوج بالألم .. وكان هو جالساً نفس الجلسة
الرزينة الوقور كأنه لم ير شيئاً فضلاً عن فعله ..

تمرّ الدقائق لا يقطعها سوى صوت لهائك ونشيجك ..
ثم سمعت صوته وهو يضغط على مقاطعه :

- « إن (النافاراي) لا يبكى .. بل يطلب مزيداً من
المعرفة .. » .

وتتهد وهو يربّت على رأسك :

- « غذا أعلمك كيف تتفادى صفعات الآخرين .. » .



٢ - نافاراي ..!

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء
الأزرق .. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي) ..

★ ★ ★

إنه المساء ...

في صمت يتجه الرهبان إلى هضبة (النمور) لمزاولة
تدريباتهم الشاقة على القتال ذلك ديدنهم منذ قرون ..

قال الأخ (ميانج) لبطلنا (هن - تشو - كان) :

- « فلسفة قتال (النافاراي) هي التحاشي .. لا تدع
العدو يلمسك .. لا تدعه يتمكن منك ، لكن لا تكيل له
الضربات .. لا تؤذيه ... وبعد قليل سيصيبه الإعياء
أو الملل ويتركك .. » .

قال (وين بياو) وهو يرتب على ظهر الفتى :

- « قتالنا ليس كقتال الديكة .. بل هو كقتال النمور ..
تحرش واستعراض قوة وتحاشي للاشتباك أطول فترة
ممكنة .. » .

همس الفتى فى رهبة ، وهو يلهث بردًا وترقبًا :
- « وإذا كان خصمى هو الآخر حريصًا على تفادى
الضربات لا أكثر ؟ » .

- « عندئذ لن يكون خصمك ...! إن القتال لا ينشأ بين
شخصين يحاولان تفاديه .. » .



وبدأت التدريبات ..

فى الأيام الأولى شعر (هن - تشو - كان) أن هناك
خدعة ما فى الأمر .. فلم يتجاوز ما يفعله - طيلة ساعات
النهار - أن يلوح بذراعه يمينا ويسارًا ويحرك قدميه فى
خمسة أوضاع مرسومة كأنه راقصة ..

وكان نظيره فى التدريبات هو (جينغ - تشا) الذى الحق
بالدير فى ظروف مماثلة ...، إلا أن هذا الأخير كان من
طينة أخرى .. فعيناه تلتمعان بالشراسة والوقاحة ،
وجسده مشدود متوتر كالقوس ، وفى طبعه ميل للعنف
لا يداريه .. والواقع أن الجميع أدرك أنه سيكون مصدر
متاعب متجددة ، وأن تعليمه فن (التفادى) سيكون شاقًا
لأنه لا يملك أدنى ميل لذلك ...

بعد أيام بدأت التدريبات تأخذ طابعًا غريبًا ..

كان على (الطلبة) أن يمروا عبر طابور من الرهبان
الذين يحملون عصيًا ثقيلة يبغيون أن يهوا بها على
رءوسهم، وعلى الطلبة أن يتحاشوا هذه الضربات
ولا تسلى كيف ...!

لقد كان درسًا مريزًا ..

عشرات الضربات العاتية انهالت فوق كتفى الفتى
ورأسه ومعصمه .. وفى جزع أدرك أنه لا مزاح فى الأمر،
وأن عليه - بالفعل - أن يبذل كل ما فى وسعه كي ينجو من
الألم .. الألم الممض الذى يمزق أعصابه ويبعث كرامته
الفتية المتقدة ..

طفى ينحنى .. يتلوى .. يتمرغ فى الغبار .. ينثنى حول
نفسه ..

وبرغم الألم كان يتقدم .. يتقدم ..

وحين وصل - أخيرًا - إلى نهاية الطابور كان قد نجا من
عشرين ضربة قاتلة، وفى أعماقه بدأ يفهم شعور السحلية
التي تتملص من مطارديها دون أن تجرؤ على
مهاجمتهم ..

لكن الأخ (ميانج) كان بانتظاره .. وفى صرامة

همس :

- « عُذِّدْ لِلطَّابُورِ !.. » .

- « لَكُنِي خَرَجْتُ مِنْهُ لَتَوِي !! » .

- « أَطْع ! » .

فَأَطَاعَ

إِلَّا أَنَّهُ - فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ - كَانَ أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ حَذَرًا ..

★ ★ ★

قَالَ الْإِخ (وَيْن - بِيَاو) لِلْكَاهِنِ الْأَعْظَم :

- « إِنْ الزَّهْرَةُ الزَّرْقَاءُ فِي تَحْسِنٍ مَطْرَدٌ أَيُّهَا الْأَب ..

وَلَكِنْ (جِينْغ - تَشَا) مَا زَالَ شَرِسًا كَالذَّنْبِ ، وَحَاوَلَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ضَرْبَ مُهَاجِمِيهِ .. » .

الْتَمَعْتَ عَيْنَا الْكَاهِنِ تَحْتَ حَاجِبِيهِ الْكَثِينِ :

- « إِنْ لَهُ رُوحُ نَمْرٍ جَرِيحٍ ، لَكُنَّا سَنَرُوضُهَا .. » .

وَأَشْعَلَ الشَّمْعَةَ الَّتِي أَمَامَهُ لَتَضِيءَ صَفْحَاتُ كِتَابِ بَالٍ

قَدِيمٍ :

- « غَدًا يَدْخُلُونَ قَبُو النِّيرَانِ الرَّاقِصَةِ .. » .

★ ★ ★

قَبُو النِّيرَانِ الرَّاقِصَةِ هُوَ ذُرُوءُ تَدْرِيبَاتِ (النَّافَارَاي) ..

وَبَعْدَهُ يَنْتَهَى صَنْعُ (النَّافَارَاي) الْجَدِيدِ وَتَبْدَأُ مَرَحَلَةُ صَفْلِهِ ..

لقد صار (هن - تشو - كان) شابًا يافعًا وسيما يقف
بقامته الفارعة وضميرته تتدلى على ظهره ، وثيابه
الزرقاء المميزة .. جسده متوتر كمخالب القط .. وذقنه
المربعة الحليقة توحى بقوة الشكيمة ..

كان - بالطبع - قد سمع عن هذا القبو ويعلم إلى حد ما
ما ينتظره فى داخله .. لكنه لم يفشل قط فى شيء تمناه
حقًا ، وهو يتمنى حقًا أن يجتاز هذا الاختبار ... وكان
يعرف أن الكاهن الأعظم سيراقبه من فتحة سرية ..
قال الأخ (ميانج) فى لطف غير معتاد يثير التوجس فى
النفس :

- « هو ذا النفق .. وكلنا اجتزنناه قبلك .. فليس الأمر
مستحيلًا .. » .

وابتلع ريقه مردفًا وهو يناولُه قربة اللبن ليحسو
منها :

- « لاتدع نيران ذهنك تخبوثانية واحدة .. بل أبقيها متقدة
ذكية لأن الثانية التى تخبو فيها ستكون الأخيرة !! » .

★ ★ ★

تعالوا معي نر هذا الكابوس .. ولا تخافوا ما دمت أقودكم
بنفسى ..

ما إن ينغلق الباب خلفك حتى يسود الظلام والصمت ..

لا ترى سوى ضوء مشعل خافت فى نهاية النفق ..
ولا تسمع سوى دقات قلبك الذى تدعو الله ألا يتوقف الآن ..
هل هذا صوت قعقة ؟ ..

نعم !.. إنه كذلك !.. بل هو صوت سقالة عملاقة
مشتعلة بالنيران تهوى فوق رأسك بالذات من أعلى ..
ضوء النيران يملأ المكان ..

عندئذ تثب للأمام .. ولكن مهلاً !.. إلى أين ؟.. إن
الأرض تلتمع بنصال خناجر مشرعة لأعلى بانتظار من
يسقط عليها !..

نعم .. هكذا .. اضبط بدقة على الموضع الوحيد الخالى
من الخناجر ؛ على حين تسمع صوت الدوى المروع خلفك
إذ تتهشم الثقالة ويتناثر الخشب المشتعل فى كل مكان ..
لا وقت لتتنفس الصعداء - للأسف - لأن عجلة ثمانية
تهبط من السقف وهى تدور .. فتتناثر منها المشاعل
الملتهبّة تجاهك ..

اجذب ساقك من بين الخناجر سريعاً ودّر حول نفسك
فى الهواء محاولاً تحاشيها .. إن طرف سروالك يشتعل
لكن الوقت لا يسمح بأن تحاول إطفاءه ..
حاول الارتكاز على الجدار الجانبى ..

لكن .. لا تفعل! .. هل تسمع فحيح الأفاعى الشريرة؟ ..
الأفاعى المتحفزة التى تحاول اقتناص طرف أنامك ،
وتنتظرك دون ملل ..!

إذن لا جدران جانبية ! ..

العجلة تتدحرج نحوك ، و ...

سهام مشتعلة تندفع من الحوائط نحوك ! ..

مستحيل أن يكون هناك جحيم على الأرض بهذه
البشاعة .. إنهم لا يدعون لك ثائية واحدة لتلتقط
أنفاسك ..

ثب فوق العجلة .. وخذ الحذر من موطن قدميك لأن
هذا السائل الفائر الذى ينتشر فى الأرض لا يمكن إلا أن
يكون مادة حارقة ..

لا تهبط .. تشبث بالحبال المعلقة فى السقف ..

وهكذا تمرّ السهام المشتعلة والعجلة من تحت

قدميك ..

والآن ...! ..

اترك الحبل فوراً ! .. هل تسمعنى ؟! .. اتركه فوراً ! ..

ألا ترى الثعبان الملتف حوله وهو يزحف ببطء كى

يلدغك ؟ ..

« كلنا اجتزناه قبلك .. ليس الأمر مستحلاً .. » .



اترك الجبل فوراً...! هل تسمعى؟! .. اتركه فوراً! ..
ألا ترى الشعبان الملتف حولهُ وهو يزحف ببطء كي يلدغك؟ ..

« لا تدع نيران ذهنك تخبو ثانية واحدة .. » .
اترك الحبل واقفز إلى الأرض .. بين الخناجر التي
تركوا وسطها مواضع ضيقة لا تكاد تكفى لقدم واحدة ..
وبعيداً عن السائل الجهنمي .. أرجوحة ضخمة تتجه
نحوك .. أرجوحة مشتعلة ..

« ليس الأمر مستحيلاً .. » .
نحن لنتمر الأرجوحة فوق رأسك .. ثم انطلق سريعاً
بين الخناجر قبل أن تعود الأرجوحة إليك ..
كم سهماً نارياً تحاشيت ؟..
كم ثعباناً كاد يلدغك ؟..
كم كتلة نارية هوت فوقك ؟
لا تذكر ..

لقد تداخلت الرؤى والمشاهد .. لكنك امتزجت بسرعة
الكون ذاته .. لم تكن أنت من يتحرك بل الشهب والأجرام
والسُدُم والإلكترونات في مداراتها الأبدية .. كنتِ لثوان
تعيش بأعصاب القط الخائف ، ولثوان تعيش بتوتر الثعبان
الغاضب ، ولثوان تفهم تماماً مشاعر البعوضة التي تهوى
نحوها كف فطة ...

فقط تذكر أنك فعلتها
وعند مخرج النفق خرجت متوتراً زائغ العينين ..

حتى أنك وثبت مترين للخلف مفلتًا من يد الأخ
(وين - بياو) التي امتدت لك مصافحة مهنة ..
وتعالى صياح الرهبان احتفالاً بالراهب الجديد ..
ومعهم تمضى إلى الكاهن الأعظم ليخبرك أنك نجحت
واجتزت أسوأ لحظاتك بنجاح .. وفى رقة يسألك أهم سؤال
فى الكون :

- « لم تحرق الأفاعى بشعلة نار ؟ » .

- « لأننى نافاراي ! » .

- « ألم تخش الموت ؟ » .

- « (النافاراي) لا يخشى سوى موت الكائنات الحية

الأخرى .. » .

إنها من المرات القلائل التى شوهد فيها الكاهن الأعظم
يبتسم فى رضا ..

وفى المساء عرف (هن - تشو - كان) أن
(جينغ - تشا) قد عبر نفس النفق بنجاح .. وإن اضطر إلى
إبعاد الأفاعى بجذوة نيران ، الأمر الذى وجده الكاهن
الأعظم دليلًا على ضيق الحيلة والعدوانية التى لا مبرر
لها !! ..

أنا لا ألوم (جينغ - تشا) أبدًا ولا أحسب أحدكم يلومه ،
لأننا كنا جميعًا سنفعل نفس الشيء لو لم نمت ذعرًا في أول
لحظة ندخل فيها ذلك النفق ..

لكن الفارق هنا هو أن الاختبار ليس الغرض منه
قتل الممتحن بل اختبار أخلاقياته وجدارته بأن يكون
(نافاراي) ..

لم يستطع (جينغ - تشا) أن يكون (نافاراي) لكنه لم
يُطرد من الدير .. وكان هذا تسامحًا أعمق
تسامحًا لا مبرر له على الإطلاق



٣ - الليلة الأخيرة ..

مرت أعوام ...

وعندما جَنَّ الليل اصطحب (هن - تشو - كان) تلميذه الصغير مرتجف الأطراف والفؤاد إلى صخرة (النرفانا) المكسوة بالثلوج ..

وفى تؤدة همس له :

- «لماذا تحرق النار؟.. لأنها نار... لماذا يطفئها الماء؟.. لأنه ماء.. لماذا يرتوى منه النمر؟.. لأنه نمر...» .
يغمغم الصغير في رهبة :

- «ل.. لا .. أفهم ...» .

- «لكنك ستفهم يوماً ما .. وعندئذ تكون (نافاراي)

حقيقياً ..» .

وكان (هن - تشو - كان) قد فهم منذ أعوام .. ذلك التسامح المطلق مع طبائع الأشياء ، لأنها لا تكون سوى نفسها .. وليس لك أن تتوقع أكثر من أى شيء .. حين تفهم أن النار لا حيلة لها إلا أن تحرق .. والماء لا حيلة له سوى أن يطفى .. عندئذ تغفر للثعبان لدغاته وللقط خدوشه ولخصمك ضرباته ..

كل ما يمكنك عمله هو أن تتفادى الأذى ..
لكن أعوامًا عديدة تنتظر الصبي كى يعرف ما عرفه
(هن - تشو - كان) وسيكون عليه أن يجتاز اختباره
الخاصة وينال خبراته الذاتية .. لأن أحدًا لا يهديك
الحكمة .. بل أنت من تهديها لنفسك ..

★ ★ ★

يقول (جوتاما) :

- « كل من يفصم صلته بما عداه ، ويهزم الإغراء ..
لهو أعظم الرجال .. » .

★ ★ ★

كانت الإضاءة الخافتة تجعل الرؤية متعذرة فى صومعة
الكاهن الأكبر لكن صوته الواهن المتداعى كان قادرًا على
جعلك ترى وجهه المفعم بالتجاعيد وجفونه الذابلة .. لقد
صار شيخًا فانيًا لكنه ازداد هيبة ..

- « أدخل يا (هن - تشو - كان) ... » .

منذ أعوام طوال لم ينادك باسمك .. هل كان هذا نذيرًا ما ؟ ..

- « لقد عشت بينا وصرت واحدًا منا .. ولم تكن مخطئين

حين انتظرنا منك الخير .. » .

احمر وجه الفتى وأطرق للأرض عاجزًا عن التفوه ببنت

شفة ..

أمس فقط استطاع أن يصل إلى مرتبة التأمل الكاملة
التي وصل إليها الأخ (وين - بياو) .. وغرق في غيبوبة
كاملة لا يذكر منها سوى حقائق علوية لا يعرف عنها ..
وحين عاد إلى الوعي أخبره الرهبان أنه ارتفع عن
الأرض .. بضعة سنتيمترات ..!

منذ شهر فقط اخترق بقبضته الصخر القاسى .. ركز
أفكاره وحشدها في صورة واحدة .. صورة يده غائصة في
الصخر .. تخيل جزيئات يده تتباعد .. وتتباعد لتفسح
بينها مكانا لجزيئات الصخر .. العنصران يمتزجان ..
يلتحمان ..

وحين أفاق كانت يده غائصة حتى المرفق في
الصخرة ..!

كان يتقدم دون شك ..

وكان يستحق كل هذا الثناء ..

اكتسب صوت الكاهن نبذة رهيبة مثيرة للوجل وهو
يغمغم :

- « الآن حان الوقت كي أطلعك على سر أسرارنا .. » .
وفى تؤده نهض إلى تمثال كبير لـ (بوذا) متربعا في
وضع التأمل الشهير ، واستدار إلى الفتى ليرى - في
الضوء الخافت - رد فعله إزاء هذا الفتح .. الجديد ..

وبنفس الهدوء المتعمد أدار رأس التمثال فدارت...
عندئذ أدرك الفتى المذعور أن الرأس هو سداة لجسد
التمثال المجوف يمكن انتزاعها لتكشف مجموعة من
الأوراق المصفرة المهترئة الملفوفة فى فتحة العنق ..
- « هو ذا كتابنا .. حاضرنّا ومستقبلنّا ..
الـ (شوكارا) .. الكتاب الذى يحوى أسرارنا وفلسفتنا
وأسلوب عملنا .. » .

ونظر إلى الفتى نظرة لا مزاح فيها :

- « أنت اليوم تعرف موضعه .. قليلون فى هذا الدير
يعرفون .. والمعرفة عبء لا يفهمه سوى الرجال ..
المعرفة ألم دائم وعذاب مقيم ... لأنك لم تكن تخشى شيئاً
وأنت جاهل .. أما اليوم » .

وأعاد غلق الفتحة مستغلاً رأس (بوذا) الذى أداره
حول محوره كسداة الزجاجية ، وهو بعد يستطرد :

- « ربما سألوك .. ولربما عذّبوك .. لكنك لن تتكلم ..
لأنك تفهم أن هذا الكتاب هو حياتنا .. » .

ثم قال وهو يعود إلى الجلوس فى ركن الغرفة متأملاً
التمثال :

- « سيصطرع (الين) و (اليانج) فى أعماقك (*) لكنك ستنتصر .. أنا أعرف أنك ستنتصر .. ومن اليوم أنت من يحمى هذا الكتاب .. » .

كان الفتى يرتجف رهبة .. المسئولية .. الفخر والخوف .. كان يتمنى ذلك لكنه كان يخشاه بنفس القدر .. قال الكاهن الأعظم وهو يشعل (السماور) :
- « غذا تبدأ مرحلة الـ (سارايانا) ! .. » .
- « (سارايانا) ؟ .. » .

- « نعم .. (سارايانا) .. إن عقيدة (النافاراي) تنقسم إلى مرحلتين .. مرحلة التفادى أو القتال السلبي واسمها الـ (رانجانا) .. ثم مرحلة الهجوم أو القتال الإيجابي واسمها الـ (سارايانا) ... والكاهن لا ينتقل من المرحلة الأولى للثانية إلا بعد أن يثبت براعته فى التفادى ومقت الاعتداء .. عندئذ يتعلم كى يهاجم .. إنه يكون وقتها كالنمر الذى يفضل النوم فى الشمس فلا يخرج مخالفه إلا لحظة الخطر الحقيقى .. » .

- « إذن .. الـ (رانجانا) وحدها لا تكفى لحمايتى ؟ » .

(*) يؤمن البوذيون بأن هناك طبيعتين فى الإنسان هما (الين) و (اليانج) .. إحداهما أنثوية متقلبة ثرثرة والأخرى ذكورية قوية هادئة صموت ، والإنسان هو محصلة القوة الغالبة عليه .

- « تكفى لحمايتك لكنها لا تكفى لحماية أحبائك ومبادئك .. لو أن لصاً هاجم دارك فلن يمنعه (التفادى) من سرقتك .. لن يمنعه من إيذاء أمك العجوز .. لن يمنعه من تمزيق كتب صلواتك وسكب زيت الموقد .. » .

- « ومتى أبداً الـ (ساراينا) ؟ » .

- « غداً !.. » .

ابتلع الفتى ريقه وسأل السؤال الذى كان يتمنى أن تكون إجابته : لا :

- « و (جينغ - تشا) ؟.. هل يبدأ معى ؟ » .

ابتسم الكاهن الأعظم فى الضوء الخافت المنبعث من (السماور) .. وغمغم :

- « أنت تكره (جينغ - تشا) .. أليس كذلك ؟ » .

- « أ... أنا .. » .

- « بلى تكرهه .. وروحك مثقلة .. لكنك تخشى أن تقولها .. فلتهدأ بالاً .. إن (جينغ - تشا) لم يصر (نافاراى) قط .. ولن يصير .. ومن ثم هو غير مؤهل لـ (ساراينا) .. وتعليمها له كتعليم الشراسة لخنزير برى .. لا جدوى منه .. بل خطر داهم على الجماعة .. » .

ثم صمت الكاهن الأعظم فعرف (هن - تشو - كان) أن الحديث قد انتهى ..



- « تشا ساراينا ! » .

يقولها وهو يباعد ما بين ساقيه مثبتًا قدميه بقوة على الجليد ..

- « جوانغ ساراينا ! » .

يقولها وهو يفتح ذراعيه المشدودين المتوترين مباعدًا أصابعه كمخالب النمر ..

- « كيوه ساراينا ! » .

يقولها وهو يرجع رأسه للخلف لأقصى ما يستطيع .. إنها الصرخات الثلاث التي يحتم عليه قانون (النافاراي) استعمالها لإتذار الخصم بأن القتال سيتحول من الدفاع السلبي (رانجانا) إلى الهجوم الإيجابي (ساراينا) .. ومعناها - إذ لم تخفى الذاكرة - بالترتيب هو : سأبدأ (الساراينا) .. أحترس من (الساراينا) .. إليك بـ (الساراينا) ..

(تشا ساراينا) .. (جوانغ ساراينا) .. (كيوه ساراينا) .. وقد أعذر من أنذر ! ..

إنه لمشهد مرعب .. مشهد الفتى المتوتر وهو يطلق قواه المقيدة من عقالها لتتب في وجه خصومه .. كأنه منجنيق شدَّ حبله إلى نهايته ثم قطع ..

وبرغم أن العشرة الكهان المحيطين به هم أساتذة في فن التفادي ؛ إلا أن ضرباته أطاحت بأربعة منهم سقطوا فوق الثلج يننون ..

وكانت تدريباته تتم إما على خصوم حقيقيين من
الرهبان .. أو على تمثال بالحجم الطبيعي للإنسان .. وقد
حدّدت على جسم هذا التمثال النقاط الأساسية للهجوم ..
وكانت مقسمة إلى أربع مجموعات :

- نارفا (لونها أبيض) : وتؤدي إصابتها إلى إحداث
ذعر وإرتباك .

- كارفا (لونها أزرق) : وتؤدي إصابتها إلى فقدان
الوعي .

- شورا (لونها أحمر) : وتؤدي إصابتها إلى الشلل .
- كورا (لونها أسود) : وتؤدي إصابتها إلى الموت .
وكانوا يعلقون التمثال ويجعلونه يتأرجح بسرعة
لا تُصدق .. على حين كان الفتى يقف وقد لطحوا كفيه
وقدميه باللون الأصفر مستخدمين طلاء لا يجف ..

وكان الأخ (ميانج) يصرخ :

- « شورا ! » .

عندئذ يثب الفتى كالسهم موجهًا أربع ضربات في وقت
واحد إلى النقاط الحمراء في التمثال المتحرك ..

- « كارفا ! » .

فكان الفتى يوجه ضرباته إلى النقاط الزرقاء ..

وبمجرد انتهاء التدريب كانوا ينزلون التمثال ويبدءون
فى دراسة آثار الطلاء الأصفر التى تركتها قبضة الفتى
وقدمه على الأماكن المطلوبة ..

لا داعى لذكر أن النقاط التى كان الفتى يهاجمها فى
تدريبه الحى مع الرهبان هى نقاط الـ (نارفا) التى لا تحدث
سوى بلبلة وارتيباك ..

كان هذا ضرورياً لأن الفتى كان يتقدم - كالعادة -
بسرعة غير عادية وكان تدريبه خطراً لا ريب فيه لولا
سيطرته الكاملة على جهازه العصبى ..

وفى سره أدرك الأخ (ميانج) أنه لم ولن يدرب ظاهرة
مثل الزهرة الزرقاء .. وحتى مبتدع فلسفة (نافاراي)
ذاته كان سيذهل لو أنه رأى هذا الفتى .. كأنه جاء الدنيا
ليعرف الناس من خلاله معنى لفظة (نافاراي) ..

- «سيكون لهذا الفتى» قال لنفسه «شأن خطير ..» .



مرة أخرى جلس الفتى أمام الكاهن الأعظم يقبّ - على
ضوء الشموع - أوراق الـ (شوكارا) المتهترئة
المصفرة ..

كانت هناك منات الأساليب الغريبة والمواعظ والنصائح
والنبوءات والذمّ فى البوذية والهندوسية ..



مرة أخرى جلس الفتى أمام الكاهن الأعظم يقلب — على ضوء

على أن شيئاً غريباً شدَّ انتباهه أكثر من سواه ..
كانت هناك طريقة غامضة اسمها (شانكين) يزعم
الكتاب أنها تنقل الجسد المادى عبر الأزمنة والمسافات ،
وكانت قائمة على التأمل المستمر المرهق .. وبالطبع
ونظراً لحدائثة سن بطلنا فإن ما تبشر به هذه الطريقة من
متعة كان جديراً بالاهتمام ..

- « دعك منها .. » .

قالها الكاهن الأعظم فى لا مبالة .. وأردف :
- « هى لعبة خطيرة قائمة على تفكيك الجزيئات وإذابة
ماديتها لتتوه فى الأثير حيث لا زمن ولا مكان .. ثم تحتشد
فى أرض أخرى وزمن آخر .. لكنها - الطريقة - لم تحدد
كيفية اختيار الزمن والمكان .. كما أنها لم تحدد كيفية
العودة من هناك .. » .

هزَّ الفتى رأسه فى طاعة ..

لكن هذه السطور ظلت محفورة فى ذهنه .. وأدرك أنه
سيجربها يوماً ما ..



كانت مشاكل (جينغ - تشا) تزداد تعقيداً ..
فهو يتشاجر مع الجميع ولا يحترم أحداً ..

ويبدو أن يأسه من أن يصير (نافاراي) قد جعله
بلا شيء يخسره .. وبدأ واضحاً أن الكاهن الأعظم سيطرده
من الدير بعد أيام أو ساعات ..

وبدأت إشاعات تسرى في الدير أنه يتردد على رهبان
(الماهايانا) في القرية القريبة (*) وكان هذا خطيراً جداً الآن
(النافاراي) - برغم أنهم يستعملون الكثير من تعاليم (بوذا) -
كانوا يعتبرون (الماهايانا) خصومهم الطبيعيين .

وتلك الليلة المشنومة كان (هن - تشو - كان) يمارس
تأملاته في الغابة الثلجية البعيدة حتى الفجر ..
ثم إنه عاد إلى الدير كعادته ..

ومن اللحظة الأولى أدرك أن هناك شيئاً على غير
ما يرام ..

بالواقع لم يكن أي شيء على ما يرام ..
وأدرك خطورة الموقف أكثر حين دخل الدير فوجد ثلاثة
رهبان واقعين على وجوههم وحولهم بركة من القىء ..
وكان من بينهم الأخ (وين بياو) ..
أصابه الجنون وهرع إلى الداخل ..
وفي كل قاعة كانت كارثة تنتظره ..

(*) (الماهايانا) : هي العقيدة البوذية التي تمارس في التبت
ومنغوليا والصين واليابان ، ومعناها (الناقلة الكبيرة) ، ومنها تتفرع
ديانتا (اللاما) في التبت و (زن) في اليابان .

كل الزهبان موتى - أو قتلى - غارقين فى القىء مما
يدل على أن هناك حادث تسمم عام ... بل الأطفال أنفسهم
لم ينجوا ..
حتى الأخ (ميانج) - صنو روحه - لم يكن أفضل
حالا ..

ماذا حدث ؟..

كيف حدث ؟..

متى حدث ؟..

ماذا دهاكم أيها (النافاراي) ؟.. كنت أحسبكم أذكى من
أن تلقوا حتفكم .. لكنها حقيقة واقعة .. أكثر من عشرين
راهبا كلهم جثث هامدة ..

فى جزع جرى إلى الممرات حيث الكاهن الأعظم فوجده
جائئا على ركبتيه وقد أراح رأسه وكتفيه على (الطبلية)
الصغيرة التى يتلو الصلوات عليها .. وكان القىء يلوث
الأرض حوله ، وثمة قدح شاي قد سقط أرضا فتهشم ..
لكنه كان يتنفس .. !

بلهفة هرع فتانا إليه وجلس القرفصاء جواره ، وأراح
رأسه العجوز على فخذه .. وفى عينه التمع ألف سؤال لم
يكن بحاجة للنطق به ..

فتح الشيخ عينيه الذابلتين بوهن .. وبدا عليه شبح
الرضا إذ رأى تلميذه النجيب .. ثم همس بفحيح الأفعى :

- « ك .. كلهم ماتوا ؟ » .

- « جميعاً .. ! » ..

التمعت دمعة فى عينى الشيخ .. وبلل شفتيه الضامرة
بطرف لسانه :

- « إذن أنت الكاهن الأخير ... » .

كانت رائحة فمه كريهة جداً وهو يهمس .. لكن (هن -
تشو - كان) لم يكن فى حال يسمح بالاشمئزاز .. ولم يسره
قط أن يعلم أنه آخر الكهنة ...

- « ماذا حدث يا معلم ؟ » .

زاغت عينا العجوز أكثر .. وعاد يفح :

- « هو .. خ .. خطئى .. (جينغ) .. (جينغ - تشا) ..

دس .. دس لنا .. ال .. السم .. فى .. الشاى .. » .

- « اللعين ! .. أراد أن ينتقم ! » .

- « بل الأمر أخ .. أخطر .. يريد ال .. ال (شوكارا) ..

ل .. لقد بحث .. عن .. عنها فى كل مكان .. ان ... آه ! .. » .

- « ولماذا يريد لها ؟ » .

- « م .. من أجل ال .. (ماهايانا) .. لقد ذهب ل ..

يحضرهم .. ك .. كى يبحثوا معه .. وس .. يصلون بعد ..

دقا نق .. » .

- إذن هى فى التمثال بعد ؟ » .

- « ن .. نعم .. إن من يجدها سيحكم الـ .. العالم ..
ولا أريد أن يـ .. يكون هو (جينغ - تشا) .. آه ! » .
التمعت عينا الفتى وقد أدرك خطورة الموقف .. إذن
فحماية كتاب (النافاراي) هى مسئوليته لأنه - بعد ثوان -
سيكون (النافاراي) الوحيد على ظهر الأرض ... وهو
يستطيع أن يتخيل الكارثة التى ستحدث لو أن ماقوئا من
عينة (جينغ - تشا) وجد الكتاب ..

لم يعد هناك وقت لرقعة المشاعر ..
لذا أراح رأس أستاذه المحتضر على الأرض وهرع إلى
تمثال (بوذا) ليفك رأسه وينتزع الأوراق الثمينة ويدسها
فى صدره .. ثم أنه جثا جوار رأس الأستاذ ليتلقى تعليماته
الأخيرة ..

- « هل أقاتلهم ؟ » .

- « لـ .. لا .. سيكونون أكثر عدداً مـ .. من قدراتك ..
لـ .. لا يجب أن تجـ .. تجازف .. الـ .. الكتاب أهم من
أن » .

نعم .. نعم .. لم يحسن التعبير لكن المعنى مفهوم .. إن
إنقاذ الكتاب أهم من خوض قتال لا تعرف نتائجه لمجرد
إشباع غريزة الانتقام ..

- « إذن أهرب ... » .

- « سـ .. سيجدونك ... » .

- « وما الحل ؟ » .

- « (شانكين) !.. » .

(شانكين) ؟ .. نعم .. نعم .. الوسيلة التى تتحدث عن السفر عبر الزمان والمكان والتى وجدناها فى الكتاب منذ أيام ... لكنها خطيرة كما قال المعلم .. ولكن ..

- « لـ .. لا .. مـ .. مجال للاختيار .. إذـ .. اذهب لـ .. للحجرة الـ .. المجاورة .. وابدأ .. الـ .. التأمل » .
- « وأنت يا معلم ؟ » .

- « لـ .. لقد .. انت .. أنتهى أمرى ! » .

حاول (هن - تشو - كان) كبح جماح دموعه ، ومد يده لصدرة فأخرج الأوراق البالية .. وانتزع منها الورقة التى تتحدث عن طريقة (شانكين) ثم أعاد الأوراق لصدرة .. وفى الحجرة المجاورة شرع يقرأ .. كان ضوء الفجر الوردى يتسرب من النافذة المنحوتة فى الصخر ، وآلام اللحظات الماضية التى مرّت كحلم كابوسى غريب لم يتخيله ، وزلزلة عالمه فجأة ورحيل أصدقائه الوحيدة والمسئولية الثقيلة الملقاة فوق كتفيه ...

كل هذا كان يحتشد فى عقله وقلبه لكنه أراحه بعيداً وأخذ شهيقاً عميقاً وبدأ يحلم ..

صوت رجال .. صوت باب يتهشم ..

لقد عادوا وهو لم يحرز نجاحًا يذكر ..
صوت تحطيم .. تمثال (بوذا) بالذات .. لكنهم لن يجدوا
ما يريدون .. رگز أكثر .. امتزج بالكون .. حاول
ألا توجد ..
أنت تدنو من (النيرفانا) الكاملة .. حالة الانطفاء
النهائية ..

لا تدع صوت السيوف يخرجك من تركيزك ..
لا تدع صوت أنين الكاهن الأعظم - وهم يعذبونه غير
مبالين بأنه رجل ميت - لا تدعه يشتت تيار أفكارك ..
انبذ مخاوفك الخاصة ..
هانتذا تذوب فى الأبدية ..
هانتذا تفقد ماديتك وتتحول إلى ذرات أثرية ..
إنهم يقتربون من الحجرة ..
لكنك - أنت أيضًا - قد اقتربت جدًا ..
جدًا ... جدًا ...
و
لقد نجحت

★ ★ ★

٤ - أرض أخرى .. زمن آخر ..

أظن القارئ يتساءل الآن : أين ذهب هذا السخيف
(رفعت إسماعيل) بسخريته المقيتة وصلعته ورائحة
سجائره ؟ ..

هذا بالطبع - وإن كنت لا أرجوه - ما لم يعلن إحساسه
بالرضا والاستمتاع لأنه يقرأ أخيراً قصة محترمة ! ..
ولكن صبراً يا رفاق ...

لا تفرحوا قبل الأوان .. فأننا آت لا محالة .. وستعرفون
السبب بعد بضع صفحات ...



الظلام والحرارة والرائحة الخانقة ..

لبضع ثوان ملأت المفردات الثلاثة حواسه فلم يستطع
أن يفهم أين هو .. لكنه كان واثقاً من شيء واحد ..
أن القاعة التي كان يتأمل فيها منذ ثوان قد اختفت ..
بدأت عيناه تعتادان الظلام .. فاستطاع أن يرى أجولة
من الخيش مكومة فوق بعضها ، وحيوانات صغيرة
مكسوة بالفراء تجرى هنا وهناك بسرعة لا تصدق (لم تكن
الفئران من الحيوانات المألوفة في الدير) ..

أدرك دون جهد أنه فى مخزن ما ...
ومن الرائحة عرف أنه مخزن لنوع من الحبوب ..
لكن أين ؟ .. وفى أى زمن ؟ ..
سمع باب المخزن ينفتح محدثاً صريراً ... واندفعت
لعينيه حزمة أليمة من ضوء الشمس كأنها دسته من الإبر
تنغرس فى مقلتيه ..
وبين الإبر الأليمة رأى خيراً فارعاً يدخل من الباب ..
كانت فتاة شابة ..
وبرغم الألم الذى أحدثه الضوء الساطع أدرك أن شكلها
غريب جداً .. فهى سمراء اللون عيناها واسعتان على
نقيض فتيات وطنه .. وكانت كبيرة العظام ضخمة القدمين
كما لم ير فتاة من قبل ..
لكنها - برغم غرابة مظهرها - كانت مليحة ..
وفى نشاط وخفة - ودون أن تلاحظ وجوده - ألقت على
الأرض بمقص كبير وبعض الحبال ، ثم انسلت مغادرة
المكان دون أن تغلق الباب خلفها ..
تحرك الفتى ببطء شديد واختبأ خلف كومة أجولة ،
وشرع يدقق البصر فى نهم إلى العالم الخارجى وراء
الباب ..

كان هناك رجال يتحركون هنا وهناك .. سمر البشرة يرتدون ثيابًا طويلة تصل للقدمين ، وكانوا يضعون على رؤوسهم أغطية رأس غريبة .. وكان بعضهم منهمكًا بحمل الأجوالة متجرّدًا من ثيابه الطويلة كاشفًا عن سروال أبيض متسع وصدرية مليئة بالأزرار ..

ولم يكن أحدهم يعقص شعره خلف ظهره .. أو يرتدى قرطًا ..

أخذ عقل (هن - تشو - كان) يعمل بأسرع ما يمكن .. لن يلبث أن يكتشف أمره .. وعندئذ .. وحتى لا يبدو شاذًا .. عليه أن يبدو مثل هؤلاء أو على الأقل قريبًا منهم ..

في تودة التقط المقص .. وحركه إلى مؤخر رأسه وجزّ خصلة الشعر الناعم المتدلّية على ظهره ..

ثم إنه وجد ثوبًا من هذه الأثواب الطويلة وغطاء رأس في أحد أركان المخزن .. كان الثوب متسخًا قذرًا تفوح منه رائحة العرق لكن الوقت لم يكن مناسبًا لقواعد الصحة .. لهذا نزع ثيابه وارتنى الثوب الجديد .. وثبت غطاء الرأس الصوفى على رأسه وتمنى لو رأى وجهه في لجة ماء ..

جاء الجزء الهام من الموضوع ..

الآن ينبش بأظفاره الأرض الترابية محدثًا حفرة صغيرة .. ثم يغلف كتابه الثمين - ال (شوكارا) - بثيابه التي خلعها ... وفي حذر يدفن الحزمة الثمينة في الحفرة ..

ويهيل التراب وقد سرّه أن الجفاف العام المخيم على التربة يدل على أن الرطوبة لن تفسد الكتاب .. وبالطبع لم ينس أن يدفن خصلة الشعر والقرط مع الثياب وما بداخلها ..

ثم إنه مسح بالغبار وجهه ..

سيبدو قذرًا كخزير .. وهو المطلوب لأن وجهه المتسخ لن يدع الكثيرين ينتبهون لعينه الضيقتين ولون بشرته الأصفر .. على الأقل في الوقت الحالي .. لم يكن يتفادى شيئًا بعينه ..

لكنه كان يعلم أن هناك خطرًا لا يدري كنهه ..

بعد دقائق ظهر (سيلويت) الفتاة عائدة إلى المخزن مندفعة بنفس النشاط والحيوية ..

وفي هذه المرة كان محتفًا أن تراه ..

التقت العينان .. ولمح عينيها تتسعان في هلع .. وشفتيها تهمسان بلفظة ما .. ثم أنها ضربت بكفها المفتوح صدرها (ولم يكن قد رأى هذا الأسلوب في إظهار الذعر من قبل ..) ..



ثم يغلف كتابه الثمين — الـ (شوكارا) — بشيابه التي خلعها ..

وفي حذر يدفن الحزمة الثمينة في الحفرة ..

.. - « آبا...! آبا...! » .

كذا صرخت وهى تجرى هاربة من المخزن ..
أما (هن - تشو - كان) فظل مسمرًا فى مكانه يشعر
بالحيرة ، بالإضافة إلى غرابة اللغة التى استعملتها الفتاة ..
واللفظة التى قالتها يملؤها حرف غير مألوف لأنثيه (حرف
الحاء فى عبارة : بسم الله الرحمن الرحيم) .. فما هو هذا
المكان ؟

ومن هم هؤلاء القوم ..؟
بعد ثوان امتلأ المخزن بالفضوليين والمتحمسين
والمتحفزين ..

أما (آبا) - أو الشخص الذى نادته الفتاة - فكان عجوزًا
كث الشارب أشبيه يربط رأسه بمنديل ويرتدى معطفًا أصفر
بحال لونه منذهر .. وكان يمسك فى يده بعضا طويلة معدنية
تشابه تلك المدافع التى كان الصينيون يستعملونها فى
حروبهم ..

فى تؤدة وحذر اقترب من الفتى وسأله عن شىء ما ..
كان (هن - تشو - كان) قد قرر التزام الصمت والحذر ..
سيظهر بالخرس والعته فلا يصير بحاجة إلى الرد .. اندمج
فى الدور وتدلّى لسانه خارج فمه مبعثرًا اللعاب على ذقنه ..
وبعينين زائغتين شرع يتابع كلمات الرجل التى لم يكن فى
حاجة للتظاهر بأنه لا يفهمها لأنه - بالفعل - لا يفهمها ..

كان الرجل يرمقه فى شك ..
ثم بدأ يتبادل حديثًا غاضبًا مع الرجال وهم يقنعونه
بشيء ما ..

أدرك الكاهن الأخير أن عادة هؤلاء القوم هى الصخب
والكلام الكثير .. وأن الهمس عندهم هو نوع من
الصراخ ..

لم يكونوا سمراء كالزنوج أو بيضًا كالتجار الإيطاليين
الذين رأهم ذات مرة .. ولا هم صفر كأبناء جلدته ..
فمن هم إذن ؟ ..

تصايح القوم بشيء ما فبرزت من صفوفهم امرأة
عجوز تحمل خبزًا ومادة صفراء اللون شديدة الملوحة
يبدو أنها نوع من الخبز .. وفى يدها الأخرى وعاء من
الفخار تكاثف الماء على سطحه .. وقدمته له ..

كان (هن - تشو - كان) معتادًا الجوع أيامًا طويلة ،
لكنه أدرك أن الحكمة تقضى بعدم الرفض ..
شرع يلتهم الطعام - غريب المذاق - والجميع يراقبونه
فى فضول ..

كانت أذنه الحادة تعمل كأذن القط .. ولقد أدرك أن
اللفظة التى يكررونها لكل وافد جديد على المشهد .. هذه
اللفظة : (أهبل .. أهبل) لا تعنى سوى العتة أو الجنون ..

كانت هناك لفظة أخرى تتكرر بإصرارَ وبدا له أنها مقاربة في المعنى .. هي (بتاع ربنا) ...، وإن أثار دهشته حرف (العين) الذي لم يعتد سماعه قط .. وفي رضا أدرك أنه قد تلقى تأشيرة الدخول إلى عالمهم ، وكأنه يكافئ نفسه رفع الوعاء الفخارى إلى فمه وجرع الماء حتى ارتوى ..

★ ★ ★

دعونا الآن نفارق وجهة نظر كاهننا لنتخذ وجهة نظر أكثر شمولية وإلمامًا بالتفاصيل ، لأنه لن يفيدنا بشيء أن نجعل ما يجهله هو على طول الخط .. أظن القارئ قد استنتج أن الكاهن قد قذف إلى قرية مصرية .. أى أنه قد ابتعد مئات الأميال عن وطنه الأصلي .. دعك من أنه كان يعيش أصلًا في القرن السادس عشر .. وهو اليوم في عام ١٩٦٧ .. أى أنه ابتعد أربعة قرون عن زمنه الأصلي ..

ويمكننا القول إن خدعته قد انطلت على الفلاحين .. فهم لا يملكون خبرة طبية لكنهم - حتمًا - رأوا أناسًا مصابين بهذا النوع من التخلف العقلى الذى يجعل العينين ضيقتين والشعر ناعمًا ..، هذا العيب الخلقى الذى يسميه الأطباء بـ (العتة المنغولى) (★) ..

(★) أحيانًا يُسمى بـ (متلازمة داون) .

لهذا تقبلوا سريعاً فكرة العثور على شاب شريد متخلف
عقلياً له ملامح صينية .. كان هناك فى القرية المجاورة
شاب مثله .. وكان أهل القرية يسمونه (الشيخ عطوة) ..
ويتبركون به ..

وهى عادة ريفية قديمة .. عادة اعتبار المتخلفين عقلياً
فى عداد الأولياء الذين شفت نفوسهم إلى حد الاتصال بسر
الكون ..

لهذا لم يكن صعباً عليهم أن يتقبلوا هذا الشريد البائس
بينهم لا يهم من أين أتى ولا من هو ..
أنهم أنه بحاجة إليهم ..

أما عن المدعو (آبا) - أو ما ظنه الكاهن - فلم يكن
سوى (محمد السقا) خفير شونة الغلال .. وبالطبع لم يكن
(آبا) سوى نداء ابنته له حين رأت الكاهن .. وقد ظن هذا
الأخير أن (آبا) هو اسم الرجل ...!!..

كانت القرية مفعمة بعمال الترحيلة فى تلك الآونة ، لهذا
لم يكن وجود وجوه غريبة أمراً يثير الريبة ..
وكانت ابنة الخفير - واسمها (سعدية) - تتواشب هنا
وهناك تعين الرجال على ربط غرارات الحبوب وتعدها ...
وكان ابنه الشاب (إبراهيم) منهمكاً فى معاونة العمال مع
أبيه ..

ومن اللحظة الأولى أدرك الأب أن الوافد الجديد سيكون مسئوليته ، ولربما ابناً ثانياً له ..

وقد أدرك - بفطنة الفلاح التى لا تخطئ - أن الفتى ليس أصم .. فعيناه تتابعان الأصوات .. وجهه يتلون حسب حديثها ، لكن من الواضح أنه لا يفقه حرفاً ..
وجاء المساء ..

العبادة الزرقاء الرطبية تفتersh الكون ..
لكن الفتى ظل جالساً حيث هو يرمى الأفق فى نهم ..
فحتى النجوم تبدو مختلفة ها هنا ..

من الغريب أنه ليلة أمس - أحقاً هو أمس ؟ - كان يحيا فى عالم (النافاراي) يمارس تدريبات (السارايانا) فوق الثلوج .. واليوم ماذا بقى من كل هذا ؟ .. هل كانت حياته السابقة حلمًا كلها ؟ .. أم أنه يحلم الآن ولن يلبث الأخ (ميانج) أن يوقظه ؟ ..

حقيقة واحدة كان يدركها ..

لو أنه ظل ها هنا فترة أطول فلسوف يزوى ويموت ..
نعم .. يموت .. مثله مثل الببغاء التى يحبسونها فى قفص بعيداً عن توعم روحها ..

شعر بخطأ تقترب منه فأجفل ..

كان القادم هو الخفير يحمل له شيئًا ملفوفًا فى رغيف
خبز من الواضح أنه يؤكل ، وقال له شيئًا ما ..
ثم إنه أشار له إلى المخزن .. وقال شيئًا آخر ..
قصة بسيطة لا تحتمل سوى تفسير واحد : - تناول
عشاءك ونم فى المخزن .. وغداً يوم آخر ..
التهم الكاهن الأخير بعض لقيمات متجاهلاً نظرات
الرجل الفضولية له .. ، كان الليل هو ميعاد تمارين
(النافاراي) فى وطنه .. لكنه لم يعد حرًا كى يزاو
عاداته ..

الأدهى هو أنه فقد القدرة على النوم ليلاً .. اختل إيقاعه
الحيوى تمامًا وغدت ساعات النهار هى ساعات نومه ،
وهذا معناه أنه سيقضى ساعات نعسة طويلة من الأرق فى
ظلام المخزن ..

كان المخزن حارًا .. حارًا أكثر من طاقة تحمل هذا
البائس القادم من أرض الثلوج ..
وكان قلبه مثقلًا بالهموم ..
لذلك - حين نام أخيرًا - كان الملل والقنوط هما اللذان
غشيا وعيه وليس النعاس ..
وغداً يوم آخر ..



٥ - مخالب النمر ..

« كالنمر الذى يفضل النوم فى الشمس فلا يخرج
مخالبه إلا لحظة الخطر الحقيقى .. » .

★ ★ ★

قديمًا كان للفتى اسم هو (هن - تشو - كان) اختاره له
أبوه ... ثم كان له اسم آخر هو (الزهرة الزرقاء) اختاره
له الكاهن الأعظم ... أما اليوم فثمة اسم ثالث له رنين
غريب اختاره له (أبا) .. هذا الاسم هو (الأخرس) ..
لم يكن يفهم معنى الكلمة .. ولا هو بالقادر على نطقها
لو أراد ..

لكنه أدرك أنها تتعلق - بشكل ما - بصمته المتعمد
المستمر ..

★ ★ ★

كانت الحياة تتحرك حاملة الفتى فى ركبائها ..
فى الصباح كان يعاون العمال فى حمل الأجوالة
وعذما ... وفى الليل كان يتكؤم كالهرة التبعيس فى أحد
أركان المخزن المظلم راضيًا - على الأقل - بأنه يحرس
كتاب (النافاراي) الثمين ، ولم يكن يتقاضى أجرًا

- وما كان يهمه أن يتقاضى - سوى طعامه .. الوجبات
الثلاث تدور كلها حول الخبز والجبن والزبد مع بعض
الخضر المطهوه فى مناسبات عشوائية ، أما قطعة اللحم
التي كان يجدها أحيانا وسط الخضر فكان يلقيها للقطط ..
كان - ككل (النافاراي) - عزوفا عن اللحوم والبيض ..
لكنه كان يرحب بمنتجات الألبان ..

وفى الليل - وحين يتأكد من أن العيون لا تراه - كان
يمارس تدريبات (النافاراي) الانفرادية فى المخزن ،
وحيدا يقاتل خصوما وهميين ويتفادى ضربات لا وجود
لها .. وهو شئ قريب مما يسميه لاعبو الـ (كونغ فو)
بالـ (كاتا) ..

وكان أعقد تمرين استطاع أن يبتكره هو الإمساك
بالفئران !.. نعم !.. أنتم لم تخطئوا قراءة الكلمة !..
إن سرعة الفئران خارقة وانعكاساتها لا تُصدّق ..
وكان عددها - لحسن الحظ - لا بأس به فى المخزن ..
فكان الكاهن الأخير يحاول محاكاة انعكاساتها بنفس
السرعة والتوتر ..

تخيل منظره إذ يقف متصليا كاتما أنفاسه متوترا
كالقوس .. ثم .. بدون استعداد ولا إنذار .. يقفز كالقط
المسعور إلى ركن المكان وقبل أن ترى أنت ذراعه يكون
قد التقط فأرا مذعورا بانسا من ذيله .. ورفع له لأعلى !..

ويحاول الحيوان التملص .. ويثنى جذعه محاولاً عض
اليد الحديدية التي أمسكت به لا يدرى متى ولا كيف ..
- « لا تخف يا أخى .. إن (النافاراي) لا يؤذى كائناً
يتحرك .. » .

ثم يطلق سراحه .. فيفر الفأر غير مصدق لا يلوى على
شئ ..

إنسان أسرع من الفأر !..

هل تصدق هذا ؟ ..

الواقع أن هذا التمرين - وليد البيئة - أتى بثمار غير
متوقعة ..

كان الفتى يتفوق على نفسه يوماً بعد يوم ... إلى الحد
الذى كان سيصيب الأخ (ميانج) نفسه بالذهول لورآه ..

★ ★ ★

كان الخفير وامراته يعاملانه بشئ من الشفقة المغلفة
بفظازة من لم تعلمه الحياة الفقيرة أصول الرقة ... لكنه
كان يدرك أنهما يعطيانه ذروة الحنان الذى فى جعبتهما ..
وهذا يكفيه ..

وكان ذكاؤه الخارق قد مكنه من فهم العديد من الألفاظ
التي يستعملانها وكان يبدى استجابته لكل هذا ، لكنه ادخر
لنفسه شيئاً من الفهم لم ييده على السطح مدفوعاً فى ذلك
بحذر عزيزى كحذر القط النمرى ..

يقول له الخفير مثلاً :

- « هات جوالاً واربطه .. » .

فكان الفتى يحضر جوالاً .. ثم يتجاهل الجزء الخاص بالربط مدعياً الغباء أو البله برغم أنه أدرك منذ زمن بعيد - معنى احتشاد حروف الراء والباء والطاء فى لفظة واحدة ..

وهكذا ينسكب محتوى الجوال على الأرض ، فيصبح الرجل محنقاً :

- « أيها الأبله !.. اربط .. ألا تفهم معنى أ..ر..ب..ط؟! » ..

ويكون الفتى قد فهم أيضاً من احتشاد حروف الباء واللام والهاء أن الرجل يتهمه بالحماقة ، وقد أدرك - دون جهد - أن هناك مزية غريبة لهذه اللغة هى أن حروفاً معينة تؤدى المعنى متى احتشدت ... فكلمة (أبله) و (أهبل) و (بلاهة) و (بله) و (هبل) كلها تعنى الحماقة ..

وهو ليس أحمق .. لكنه يرحب تماماً بهذا النعت ..

هذا عن الخفير وامراته ..

أما عن ابنهما (إبراهيم) فقد كان حديث السن ، وبحكم حداثة سنه كان عاجزاً تماماً عن معاملته برقة ، وكان يتخذ

منه مادة للمزاح مع رفاقه - وهم مجموعة من الأوغاد
شديدى السماجة - ولربما عرقل سيره مادًا ساقه أمامه ،
ولربما صفعه على قفاه ، ولربما انتزع الطاقة من على
رأسه ورمها بعيدًا ..

كان الكاهن يمقته بجنون ويتمنى تهشيم رأسه .. لكن
واجب الحذر كان يعطى عليه أن يصبر .. بل إنه لم يكن
يملك حتى حق تفادى الضربات المهينة .. لأن سرعته فى
التفادى ستثير ذهول الفتى وأصحابه ، الذين لن يقتضى
تحويلهم إلى مقعدين سوى ضربتين منه ..
كانوا ذبابًا ..

وهو لم يقتل ذبابة فى حياته ..
بعد هذا يجيء دور (سعدية) ..
هذا الشباب النضر الرشيق ، والنظرة الحانية المرهفة
التي تقطر بالأنوثة من عينها الكحيلتين الواسعتين ..
كانت معجبة به .. وتعنى بأمره ..
أدرك ذلك دون غرور .. بل فى شيء من الدهشة لأن
مظهره ووضع المزرى هما أبعد ما يكونان عن اجتذاب
إعجاب فتاة ..

والمصيبة هى أنه كان معجبًا بها هو الآخر .. وكان
على استعداد تام لأن يقع - كالذبابة - فى خيوط هواها
العنكبوتية .. لولا



« لا تروهن يا (أناندا) .. لا تحدثوهن يا (أناندا) ..
وإذا تحدثت إليك واحدة منهن فلا تكثر لما تقول
يا (أناندا) ..! » .

★ ★ ★

« لا يحق لك (نافاراي) أن يتزوج حتى لا تسلبه ذريته
إخلاصه وحكمته .. فهل حقًا تفهم مغبة ذلك ؟ » .

★ ★ ★

نعم .. يفهم مغبة ذلك ...
وستنظر له الفتاة تلك النظرة التي تخفى آلاف الكلمات
فيها ، وستحضر له كيزان الذرة المشوية خلف المخزن
حين يجلس متأملًا الأفق .. وتقدم له كوزًا وتبدأ في التقاط
الحبوب من كوزها .. وتقفزها برشاقة إلى فمها .. ثم
تسأله متربعة على القش جواره ..
- « لماذا لا تأكل ؟ .. » .

الكاف واللام ولهجة التساؤل .. إنها تسأله عن سر عدم
أكله ، لاداعى إذن لمقاومة حبات الذرة الساخنة .. يملأ
فمه بها ويلوكها في صمت ناسيًا أن يمحو عمق المعاناة
من على وجهه ..
لحظات كهذه كانت لا تفوت الفتاة ، عندئذ كانت
- بغريزة الأنثى - تشعر أن هذا الفتى ليس معنوها .. بل
هو يتظاهر بذلك ..



وستحضر له كيزان الدرة المشوية خلف المخزن حين يجلس
تأملًا الأفق ..

وتقدم له كوزًا وتبدأ في التقاط الجوب من كوزها ..

إنها تثرثر .. تثرثر .. تثرثر ...
وحتى فى ذلك اليوم الذى جرح ذراعه فيه ، وقادته إلى
ذلك المبنى الغريب كانت تثرثر ، وكان هناك رجل يرتدى
معطفًا أبيض ضمد له ذلك الذراع ، أما هى فأخذت تشير
إلى غرفة ما فى الطابق العلوى وتحدثه عن (إبراهيم)
أخيها .. حكاية طويلة لم يفهم مغزاها ..
يبدو أن (إبراهيم) هذا كان مريضًا وأحضره هنا
يومًا ما .

لم يكن كل هذا ذا أهمية ..
بل - والأسوأ - كان مملاً ومبتذلاً إلى حد لا يُوصف ..
هل سينتهى الأمر بأفضل كهنة (النافاراي) إلى أن
يعيش ويموت مجرد عبيط قرية آخر ؟!



فى تلك الليلة كان جالسًا فى المخزن يتأمل حين سمع
صرير الباب .. تجمد الدم فى عروقه .. من هو القادم فى
هذه الساعة ؟..

حتمًا هو ليس الخفير لأنه كفّ عن تفقد المخزن من
زمن مطمئنًا لوجود الفتى .. وبالطبع ليست (سعدية)
لأنها ليست من هذا الطراز .. ولا هو (إبراهيم) لأنه لم
يفعلها قط ..
إذن هو

انفتح الباب أكثر .. وسمع صوت همس ..
ثم إنه رأى عددًا من الرجال الملتئمين ينسلون من الباب
وهم يلهثون انفعالاً ..

لقد توقع ما هو أسوأ من حفنة لصوص غلال ، ولم يكن
بيده ما يفعله سوى أن يقبع فى مكانه يراقب ما يحدث ..
فلا الغلال غلاله ولا هو سيد الموقف .. فليأمل فقط ألا يراه
هؤلاء الأوغاد .. ومن يدرى ؟ .. قد تتاح له فرصة
الاستعانة بأهل القرية فيما بعد ..

كانوا يحملون مصابيح غريبة تضيء بلا نار .. وكانوا
يتفقدون بها أرجاء المكان .. ، ثم أغشى الضوء
عينيه ، وعرف أنهم رأوه .. وعرف كذلك أن رؤيته أثارت
رعبهم أكثر بمراحل مما أثاروا هم رعبه ..

وسمعهم يهمسون بصوت مسموع ..
ثم رأى أحدهم يهرع نحوه فى جنون ملوحًا بنصل لامع
فى يده .. وسمعه يردد عبارة واحدة :
- « ولا كلمة !! » .

الكاف واللام والميم .. واضح طبعًا أنه يأمره بالصمت
والإذبحوه .. ثم رأى أحدهم يضطج يده على ذراع الأول
مهدئًا من روعه :

- « سيبه .. ده بتاع ربنا ! » .

أه ..! إذن فهذا الرجل يعرفه ويعرف بلاهته
المزعومة ..، ولهذا يردد عبارة (بتاع ربنا) المرادفة
للفظة (أبله) ..، إن الرجل ملثم لكن عينيه قد حفرتا للأبد
فى ذاكرة الكاهن .. وسيعرفه يوماً ما ..

كان الرجل الأول العدوانى ما يزال يرمقه فى شك ...،
حين عاد الرجال يواصلون عملهم فى حمل الأجولة خارج
المخزن بحذر وسرعة ، وقد أثروا ترك فتانا فى سلام ..
إلى هنا كان الموقف مبشراً بالخير ..

إلى اللحظة التى فوجئ فيها الجميع بـ (سعيدة) تقتحم
المكان ..!، كانت الحمقاء - كما هو واضح - قد سمعت
جلبة من المخزن ، وبمنتهى الغباء نهضت وحيدة لترى
ما هنالك .. أو لعلها توقعت أن الفتى هناك فلم تتوقع شراً ..
وقبل أن تفهم شيئاً وجدت نفسها بين المقتحمين ، وفى
ثوان وجدت نفسها مكعبة الفم وقد لوى ذراعها خلف
ظهرها ..!

حاولت المقاومة ودارت عيناها سريعاً لتقعاً على
الأخرس جالساً فى تراخ - كالجوال الملقى - على
الأرض ..

عندئذ فهمت القصة سريعاً ..

دارت مناقشة سريعة بين الرجال ... فهم الكاهن
فحواها دون جهد .. فهؤلاء الرجال التمساء قد تورطوا
فى شاهدين على جريمة السرقة ، ولئن كان أحدهما
معتوفاً فالآخر عاقل ويتمتع بلسان حنى .. والمصيبة أن
لثام أحد المقتحمين قد انزلق من على وجهه مما جعل
الفتاة ترى وجهه كاملاً فى ضوء الكشافات .. ومن
الواضح أنها عرفته .. وأنها ستتسبب فى خراب بيته عند
أول فرصة ..

لم يكن الكاهن ليلومهم على قرارهم الذى هو القرار
الوحيد الممكن .. ولو كان مكانهم لوجد نفسه مضطراً إلى
قتل الفتاة !، نعم .. لا حل سوى هذا .. ولو لم يكن فى
حبائلهم ولو لم يكونوا أو غاداً ولصوصاً لتمنى لهم التوفيق
فى قرارهم الصائب هذا !..
لكنه مضطر أن يتصدى لهم ..

★ ★ ★

« لو أن لصاً هاجم دارك فلن يمنعه (التفادى) من
سرقتك .. لن يمنعه من إيذاء أمك العجوز .. لن يمنعه من
تمزيق كتب صلواتك وسكب زيت الموقد .. » .

★ ★ ★

كانوا منهمكين فى النقاش حول مصير الفتاة حين
سمعوا - ورأوا - أغرب شيء تصوره ..

حركوا مصابيحهم تجاه الفتى الأبله ليروا ما يحدث هناك..

كان يقف متحفظاً مباعداً ساقيه مثبتاً قدميه على الأرض ، ثم إنه رفع عقيرته بصيحة لم يعرفوا لها معنى :
- « تشا ساراينا !! » .

ثم إنه مَذ ذراعيه المتصلبتين على أقصى امتداد لهما ..
وصرخ :

- « جوانغ ساراينا !! » .
وأرجع رأسه إلى الخلف ونفش صدره :
- « كيو ساراينا !! » .

تبادلوا النظرات الحائرة .. ماذا دها هذا الأبله ؟ .. وأية لغة هذه ؟ ألم يسمعوا أنه أخرس كالأسماك ؟ .. على أنهم فهموا شيئاً واحداً ..

أن هذا الفتى يحتشد لموقف عدواني ، وبعبارة أخرى يريد ضربهم وقد غدا تأديبه حقاً عليهم ..

لم يفهم هؤلاء الحمقى - أن الفتى قد قام بواجبه كاملاً ، وأنذرهم بما لا يترك لهم عذراً .. إنه سيبدأ الـ (ساراينا) وحذار من الـ (ساراينا) ثم إليكم بالـ (ساراينا) يا من لم تقرأوا الفصل الثالث ..!

إن أحداً لا يفكر ما حدث ..

ثم إن الظلام ساد المكان إثر سقوط المصابيح من أيدي حاملها ، لكن هذا الشيطان كان يرى في الظلام كالوطاويط ..

كان عشرة أقدام تطايرت في وجوه اللصوص في لحظة واحدة ، ثم ارتطمت عشر قبضات في بطونهم ..

لم يعد الفتى يرى رجالاً .. بل منات من نقاط (الكارفا) الزرقاء - ألتى تسبب إصابتها فقدان الوعي - تلتصع في الظلام .. وكان عليه أن يصيبها جميعاً حتى لا يلومه الأخ (ميانج) ..

نصل سكين هوى نحوه بسرعة الصوت ، لكنه كان يملك سرعة الضوء .. فتمرغ أرضاً ثم رفع مشط قدمه ليترك حامل السكين في أسفل بطنه ... وسمعه يئن كالكلب الجريح .. وسمع - بأذن الخيال - الأخ (ميانج) يلومه :
- « ليس الـ (شورا) أيتها الزهرة الزرقاء ...! ليس الـ (شورا) !.. »

إنك تسببت في إصابته بالشلل وأنت لم ترد سوى إفقاده وعيه ! » .

- « اغفر لى أيها الأخ (ميانج) ! » .

كان أحدهم يحاول الفرار ..

من ثم وثب الكاهن الأخير على ذراعيه .. ودار في الهواء ليسقط أمام الرجل .. قال ذلك الأخير شيئاً ما .. ثم تلقى لكمة على جذور عنقه جعلته يهوى أرضاً كبالون مثقوب ..

أحد المتحمسين ينقض عليه بفأس وجدها على الأرض ..

تنحى الكاهن الأخير جانباً تاركاً الرجل يندفع كالقطار المجنون فى طريقه ، ثم وضع ساقه فى طريقه فهوى أرضاً .. وبسقوطه كشف عن فقراته العصصية أكثر نقاط الـ (كارفا) ثراء ووفرة ... وهكذا يكفى سيف يد واحد على أية نقطة كى يجعله يغيب فى نعاس لذيذ وهكذا انتهت المعركة ..

لم تستغرق سوى ثلاث دقائق ، لكنها خلفت فوضى لا توصف .. وجثث عشرة لصوص لم يصدقوا بعد أن ما حدث حقيقى ..

كانت (سعدية) واقفة فى موضعها بعد أن أطلق سجانها سراحها .. ليشارك فى المجزرة وينال نصيبه منها ..

لم تبدل وقفاتها .. ولم تأت بحركة واحدة من بداية المعركة حتى نهايتها .. فقد ألجمها الذهول .. وكان صدرها يعلو ويهبط انفعالاً .. أما الفتى فقد وقف متصلباً يرمى ضحاياه بضع ثوان ..

ثم استرخى قليلاً .. وهتف بصوت عال :

- « سوان هاتشاه (سارايانا) ! » .

أى : لقد أنذرتكم أننى سأستعمل السارايانا !، وهى
العبارة التى تحتم تقاليد (النافاراي) عليه أن يقولها فى
نهاية القتال ... برغم أنه - فى حالته هذه - لم يكن هناك
مستمعون على الإطلاق !..

وفى تودة سار نحو الفتاة المتصلبة ... وربّت على
كتفها برقة .. وللمرة الأولى حاول أن ينطق عبارته
العربية بفصاحة يُحسد عليها :

- « هم .. سيىء .. هم .. سيىء .. أنا أضرب
سيىء !.. » .

لم تكن هذه هى ذروة البلاغة فى اللغة العربية .. لكن
العبارة كانت مفهومة وواضحة .. لقد ضربهم لأنهم
أشرار ..

وعبارته الثانية كانت واضحة بالمثل :

- « أنت .. سرّ .. أنت .. سرّ .. » .

لم تجب الفتاة .. فقط رفعت عينيها إلى وجهه واتسعتا
وارتجفت شفاتها .. وفى حدة همست متسائلة :
- « من أنت ؟! » .



٦ - افعل شيئاً يا دكتور !

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء
الأزرق .. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي) ..

★ ★ ★

لم تنتظر الفتاة لتفهم أكثر ..
بادرت بالفرار إلى الدار حيث يغط أهلها في نومهم ،
ومئات التساؤلات تتصارع في ذهنها ..
على حين وقف (الأخرس) وحيداً في المخزن يتأمل
- دون فخر - حصيلة عمله الباهر ملقاة على الأرض ..
مهشمة الأطراف .. تنن ..

كان يعرف أن اللصوص سيلملون جراحهم ويرحلون ،
وسيصمتون تماماً فلن يجروا أحدهم على إعلان ما حدث ..
حتى التعس الذي أصيب بالشلل سيزعم أنه أصيب في أثناء
عمله في الحقل .. ولن يتكلم أكثر ..
لا مشكلة من هؤلاء ..

المشكلة الحقيقية هي الفتاة الثرثرة التي لن تصمت دقيقة واحدة بعد هذه اللحظة .. وستسرد ما حدث على أبيها وأما وصديقاتها وجيرانها .. وستحكيه للأبقار والماعز والأشجار العجوز ..

عندئذ .. كيف يفسر ..؟.. وكيف يشرح ..؟

لقد كان مضطراً إلى ما فعل .. لكن هذا الذي حدث قد أفسد مستقبله في هذه القرية للأبد .. وعليه الآن أن يجد قرية أخرى ويلفق قصة جديدة ..

سار في تتأقل إلى الليل الصامت خارج المسكن .. وشرع يتأمل النجوم التي - كعادتها - كانت مختلفة وسمجة وأقل ودًا من نجوم وطنه ..

- « (نافراي) !.. » ..

كذا همس وهو يوشك على البكاء ..

- « أنا بحاجة إليكم ... » .

★ ★ ★

لم تنم (سعدية) في تلك الليلة ..

قضت الوقت تتأمل السقف المدعم بالجذوع الخشبية ، وتسترجع ذلك المشهد الدرامي الذي رآته منذ ساعات ..

لم تصدق حتى هذه اللحظة مشهد قضاء هذا الفتى الناحل المهزول على عشرة لصوص .. عشرة فتوات إذا صح التعبير ..

إن تفكيرها الذى كف عن النمو منذ رسبت فى المدرسة
الإعدادية لم يجد سوى تفسير واحد جاهز لكل ما رآته ..
إن هذا الفتى هو بسم الله الرحمن الرحيم
نعم .. لا تبرير سوى ذلك يفسر العثور عليه فى المخزن
فجأة .. وقضائه على أولئك الأوغاد بطريقة قتال لم تر
مثلها قط ... والعينين الضيقتين العجيبتين .. هى تعرف
أن الجان فى قصص الفلاحين تكون عيونهم مشقوقة
بالطول .. لكن هل هناك ما يمنع أن يوجد جنى شقت عيناه
بالعرض ؟!..

دعك من اللغة (العفارىتى) التى استخدمها قبل ضرب
الرجال .. لسوء الحظ تلاشى أى إعجاب من روحها ليحل
مكانه الهلع .. الهلع من هذا الشيء الذى يغفو على بعد
أمتار من مضجع أسرتها ..
ماذا تفعل ؟!

لن تجرؤ على إخبار ذويها فلن يصدقوها .. وإن فعلوا
فمن يضمن لها ألا يفعل بهم هذا الجنى ما فعله
باللصوص ؟!

أفكار عديدة وهواجس شتى تصارعت فى ذهنها حتى
الصباح .. إلا أنها - مع شعاع الفجر الأول - كانت قد
أزمعت أمراً ..

★ ★ ★

نسيت في غمار الأحداث أن أذكر لكم اسم هذه القرية
التي وقع عليها حظ الكاهن الأخير دون كل قرى الأرض ..
اسمها هو .. (كفر بدر) !!..

هذا بالطبع .. إذا ما كنتم تذكرون الاسم .. ألا يذكركم
اسم الفتى (إبراهيم السقا) بشيء ما ؟ .. إنه المراهق الذي
أنقذته من براثن النداهة .. وتجارب د. (عاصم)
المخبولة ... وبالطبع هو شقيق (سعدية) ..

أسمع بعضكم يغمغمون أن المسألة (واسعة شوية) ،
فلهم أقول إن قراءتكم ما أكتب هي معاهدة ضمنية على أن
تصدقوا ما تقرءون وأن أصدق أنا فيما أكتب ... من غير
العدل أن تصدقوني حين أحكى عن صراعى مع (العساس)
أو وحش (لوخ نس) .. ثم تأبون تصديقي حين أقول إن
الصدفة جعلت الكاهن الأخير يظهر في قريتى

لاخداع في الأمر ...
لهذا كفوا عن إهانتى بترديد أننى مجرد نصاب آخر ...



كانت الفتاة تذكر جيداً دورى فى إنقاذ أخيها من
النداهة .. كما سمعت شيئاً عن هوايتى السخيفة فى جمع
الأشباح ... من ثم قررت فى ذهنها أن د. (رثعت
إسماعيل) هو رجل (يفهم فى هذه الأشياء) ..

وكانت قد رأتني البارحة أسير مع (طلعت) زوج أختي
هائدين من صلاة العشاء في مسجد القرية... وأثار
ذهولها - تقول هي - ما بدا على وجهي من خطوط معاناة
وتقدم في السن ...

إلا أنني - تقول هي أيضًا - كنت أوحى بالثقة .. أو على
بعد قولها (ارتاحت لوجهي السمع) ..
وهكذا ...

عند العصر كنت أغفو في حجرتي على سريرى الخشبي
المتهالك ، حين دخلت أمي - رحمها الله - لتقول لى إن
(سعدية) بنت أبى (إبراهيم) تريدنى !!

أثارت ذهولى هذه الجرأة الوقحة .. فلم تصارحنى
امرأة فى حياتى بأنها تريدنى برغم أنه لا بأس بى على
الاطلاق ، ثم عدت لصوابى فأدركت أنها تريد د. (رفعت)
لا (رفعت) .. والغالب أنها ستأخذ رأبى فى أخيها
(إبراهيم) الذى لا يأكل كما يجب .. أو يبول دما .. أو أى
شئ من هذا القبيل ..

نزلت متثاقلاً لأرى ما تريد ، مشوش الذهن من أثر
النعاس ..

وعلى المصطبة التى فى مدخل الدار جلسنا ..

كانت مذعورة ولا ريب .. متوترة دون شك .. ترتجف
ولا مرا ..

- « أغثنى يا أستاذ (رفعت) ! » .

- « كلى أذان صباغية ... » .

فأخذت بأنفاس مبهورة تحكى لى القصة منذ وجدت
ذلك الفتى فى المخزن وحتى حطم عظام الأوغاد العشرة ..
كانت القصة غريبة .. وأنا لم أعهد فى (سعدية) حماقة
ولا هستيريا على الأقل أكثر من أية فتاة فى عمرها ... ثم
إن طريقة القتال التى تصفها لا تبدو مألوفة .. بل هى
تذكرنى بالرياضات العسكرية اليابانية إلى حد ما (فى ذلك
الوقت لم يكن مخلوق فى مصر قد سمع عن الكاراتى
والكونغ فو) ..

- « والخل يا (سعدية) ؟ .. ما المطلوب منى ؟ » .

- « أن أعرف حقيقة هذا الشئ ! » .

- « وهل أنا خبير عفاريت ؟ ! » .

- « يقولون كذلك وأكثر .. ألم تتصد للنداهة وأنقذت
أخى ؟ » .

- « بلى .. لكنها كانت نداة مزيفة .. أعنى نوعاً

من ... » .



فأخذت بأنفاس مبهورة تحكى لى القصة منذ وجدت ذلك الفتى فى
المخزن وحتى حطم عظام الأوغاد العشرة ..

اتسعت عيناها وتجمدت فيهما دمعان .. لم يكن ثمة
مجال للإفلات .. قلت متنهذا :
- « حسن .. كيف أراه ؟ » .

★ ★ ★

فى المساء أحضرته لى ..
كنت جالسًا عند مدخل الدار أحسو كوبًا من الشاي
مرتديًا الجلباب - على سبيل العودة للجذور - حين رأيت
خيال الفتاة .. يسير جوارها فى استسلام شاب رث الثياب
مُسْوَش الهيئة مُغْبِرَهَا ..

من النظرة الأولى أدركت أنه ليس أبله أبدًا ..
ومن النظرة الثانية أدركت أنه غير مصاب بالعتة
المنغولى الذى فهمت من الفتاة أنه مصاب به .. لا توجد
علامات أخرى من أى نوع مثل اللسان المتدلى المشقق
وعنق أبو الهول والجمجمة الهرمية وثنية القروء فى كفه
.. إلى آخر ما جَفَّ ريقُ أستاذتنا وهم يعلمونه لنا ..
إن هذا الذى أراه هو - ببساطة - رجل آسيوى !..!
لا تسلنى كيف ولا من أين جاء ..

أما النظرة الثالثة فأدركت منها أنه قوى كالنمر .. برغم
نحوه الملحوظ كانت عضلاته تامة الاكتمال يمكنك عَدَّ
أليافها واحدة واحدة .. هو قوى كالنمر .. خفيف الحركة
كالنمر .. متوتر دائمًا كالنمر ..

قالت لى النظرة الرابعة إنه حزين كالغروب .. كالخريف ..
أما النظرة الخامسة فأكدت لى أنه يدارى سرًا هائلًا بين
ضلوعه . وأدركت من النظرة السادسة أنني سأثير توتره أكثر
بكل هذه النظرات والامتحان البصرى الذى عقدته له !!
لهذا ابتسمت وأشرت له كى يدخل الدار ..

- « شأى يا حاجة .. » .

ناديت أمى وأنا أقود الفتى عبر الدرجات المزدحمة إلى
حجرتى ، ثم أومأت للفتاة برأسى أنه يمكنها الانصراف ..
أجلست الفتى على الكنبه وجلست جواره محاولاً أن
أبدو ودوداً غير عصبى ..، إلا أنه كان متوتراً تماماً ..
وأدركت من اختلاج عضلات فكه أنه سيثب فى أية لحظة
ليفتر أو يوسعنى علقه ساخنة !!
- « سيجارة ؟ » .

- « » .

بالطبع لم يأخذ السيجارة ولم يرد ..، وجلبت أمى الشأى
وهى ترمق الموقف فى بحيرة فشكرتها .. وقدمت الكوب
للفتى فأمسكه بكفه دون أن يشرب .. إن هذا الغريب ..
كوب الشأى يتوهج بلهب الموقد فلا يسعك سوى أن
تلمسه بضع ثوان ومن حافته .. أما هو فيمسكه بكل
ارتياح وامتلاك ، تلك الموهبة التى لا يملكها سوى مرضى
الأعصاب الطرفية أو ذوى التحمل الفائق ..

ظللتنا وحيدتين بضع ثوان ..

ثم قررت أن أبدأ

بدأت أسأله عن نفسه فلم يبد عليه أى اهتمام ... لكننى أدركت أن استقباله لأسئلتى هو أقرب لاستقبال اللص لأسئلة المحقق الذى يبغي معرفة باقى أفراد العصابة ! .. هو يفهم كلامى لكنه لا يريد الإجابة ..

سألته بالإنجليزية .. بالفرنسية .. فلم يبد أى رد فعل إيجابى ..

أدركت أننا سنظل ها هنا حتى تقوم الساعة ما لم أجد فكرة أفضل ، وهنا تذكرت أن عندى أعدادا من مجلة (لايف) أحضرتها معى من المدينة .. وكانت إحداها تحوى مقالاً سخيفاً ومستفزاً عن زيارة أعضاء فريق (الخنافس) للبت ، وانبهارهم بالفلسفات البوذية .. المهم أن المقال كان حافلاً بصور الأديرة وتماثيل بوذا والرهبان صلع الرعوس فى ثيابهم الصفراء .. (إن من يذكرون أواخر الستينات يذكرون مشاكل حرب فيتنام وشعارات الهيبز وموضة الاهتمام بالبوذية وشعار هارى كرىشنا هارى رام) ..

لم يخب ظنى !..

لقد أثارت هذه الصور شغف الفتى .. وبدأ منبهراً إلى حد لا يُوصف وإن حاول عدم إظهار حماسه ..، وبعبسية وضع كوب الشاي على الأرض .. عيناه تتسعان في شوق ولهفة .. ثم ينظر لى وللمجلة ..

- « يمكنك أن تأخذها ! » .

ناولته إياها وأنا أكاد أبكى حسرة على ثمنها .. وقلت لنفسى إنه لو كان هناك الكثيرون من أمثال هذا الآسيوى المشتاق لـ (بوذا) فإن خراب بيتى قريب ! .. تصفح الصور فى ذهول ويداه ترتجفان .. وبرغمه كان يردد كلمات بلغة لا أعرفها ..

ثم إنه أشار لى وللمجلة مدمماً مرات عديدة :

- « أنت .. أنت .. ماهايانا ! » .

أشعلت سيجارة .. وتنهدت فى صبر :

- « لحظة يا بنى .. ولو كنت تعنى أننى ذهبت هناك فأنا

لم أفعل ! » .

- « ماهايانا .. » .

- « لا أفهم هذه الكلمة .. ولكن .. لنقل إننى الآن متأكد

من أنك بوذى .. » .

بدا عليه عدم الفهم .. عينان زائغتان ترمقاني في حماقة .. من ثم أشرت بإصبعي إلى المجلة .. إلى صورة (بوذا) المتربع في جلسته الشهيرة على عرش اللوتس .. وهتفت :

- « (بوذي) يا غبي .. مثل هذا .. هذا .. (بوذا) .. » .

بدا عليه الامتعاض حين فهم .. وأشار إلى نفسه في عصبية :

- « أنا .. لا .. لا .. أنا .. (نافاراي) !.. » .

- « (نافاراي) ؟ .. هل هي ديانة جديدة لا أعرفها ؟ .. إن أديانكم الآسيوية هذه يا بني تحتاج إلى عقل أصغر من عقلي بعشرين عامًا كي يتذكر أسماءها .. » .

يبدو أن لسان الفتى قد انفك من عقاله .. إن الصورة التي رآها قد أذابت الجليد نهائياً فيما بيننا .. والغريب أن كل هذا يؤكد أنه آسيوي .. ولكن كيف ؟ ولماذا هذه القرية بالذات ؟ ..

- « والآن .. حان الوقت كي أفهم ... » .

سألته في حزم .. فكانت النتيجة مباغتة ..، رأيته ينهض وقد أدرك أنه قدّم لى أكثر مما ينبغي ..
- « أنصرف .. أنا » .

- « و .. لكن .. أنا لم أفهم بعد ... » .

لم يعطنى فرصة للمزيد من الكلام لأنه طوى المجلة فى قبضته .. واتجه للباب .. حاولت أن أمسك بكتفه لكنه تملص ببراعة - كالحنكليس الذى لا أدرى ما هو بالضبط - .
واندفع خارجًا تاركًا إياى واقفًا كالحمقى فى وسط الغرفة

سيكون التفاهم مع هذا الفتى أعقد مما تصورت ..
لكنى لم أكن على علم بما سيحدث ...

★ ★ ★

٧ - إنه هنا !..

فيما بعد علمت أن (الأخرس) عاد أدراجه إلى دار (السقا) تحت أستار الظلام ، كان حائزاً تائهاً في دهاليز هواجسه وأفكاره ..

لقد بلبت الصور أنتى أريتها له أية خطط مستقبلية لديه ، فهو واثق الآن من أن عالمه موجود ولم يتبدل كثيراً .. نفس الثلوج ونفس الرهبان وذات الأديرة .. كأنه لم يبرحه قط .. ولكن .. كيف يصل إلى هناك ؟ .. ما هي علاقته الجغرافية في هذه الأرض بعالمه القديم ..؟ من هو ذلك الرجل الأصلع النحيل الذي أراه الصور ؟ .. ولماذا قادته الفتاة إليه ؟ .. إن أسلوب تعاملها يوحي بأن هذا الرجل ذا المنظار (يفهم في هذه الأمور) .. ولكن أية أمور هي ؟ .. هل هو يفهم في الـ (نافاراي) مثلاً ؟ .. ولكنه بالتأكيد لم يسمع عنهم .. واضح فقط أنه يعرف شيئاً عن البوذيين .. والأهم - والأغرب - هو هذه الطريقة العجيبة في (حبس الحياة) على الورق .. فلم يكن الفتى قد رأى صورة فوتوغرافية في حياته !..

★ ★ ★

كانت العاشرة مساءً حين دلف إلى المخزن ..
 وكانت الفرن - صديقه - تتواثب هنا وهناك .. حين
 نزع جلبابه وتأهب لبدأ تدريبات المساء ...
 وهنا شعر بشيء غير عادى ..
 ثمة شيء على غير ما يُرام فى المكان ..
 انحنى على الأرض يتفحصها فى توتر باحثاً عن شيء يبرر
 ما يشعر به من نذير غامض ...، وبإصبعين التقط الشيء الذى
 أثار ريبته .. الشيء الذى لم يتوقع أن يراه قط .. الشيء الذى
 يعنى أن قدره كامن فى مكان قريب ينتظر ..
 هذا الشيء هو قرط صغير مُلقى وسط حبيبات الذرة ..
 ولم يكن قرطه !..
 هو يعرف جيداً هذا القرط ويعرف صاحبه ..
 أما الأسوأ فخصلة من الشعر الأسود الأملس ملقاة فى
 إهمال على بعد خطوات ..
 طبعاً لا داعى للتساؤل عن مغزى هذا
 لقد دفن هو مخلفاته بعناية وها هو ذا موضعها كما هو
 لم يمسه أحد .. ولم تنبشه الفرن ..
 إن هذه الأشياء تخصّ واحداً بعينه ..
 واحداً جاء باحثاً عنه عبر الأزمان والمسافات ..

واحدًا عرف أنه هنا .. وعرف كيف يتخفى مثله .. وهذا
الواحد قد وصل لهذا المكان منذ ساعات بينما كان جالسًا
مع الرجل الأصلع ذى المنظار ..
إنه (جينغ - تشا) دون أدنى شك !..

لقد نسى الكاهن الأخير الورقة التى تتحدث عن طريقة
(شانكين) لأنه انتزعها من كتاب الـ (شوكارا) إذ حاول
الهرب .. ولقد وجدها (جينغ - تشا) ومن معه ، وأدركوا
أن هذا هو الطريق الذى قرّ منه ، وأدركوا أن كتاب
الـ (شوكارا) الثمين معه ..

من السهل إذن أن تتخيل ما حدث ..

لقد عكفوا شهورًا على دراسة الـ (شانكين) حتى
توصل (جينغ - تشا) - وربما آخرون - إلى السفر عبر
الأثير للاحقين به ، ومن المؤسف هنا أن هذه الطريقة
اللعينة لا تقود إلا إلى مكان وزمان واحد كما يبدو .. وهم
يأملون أن يجدوا طريقًا ما للعودة بعد أن ينتهوا منه ..
للمرة الأولى تحرك فى أعماقه - وأحشائه - شعور
جديد من نوعه لم يخبره من قبل .. الرعب !..
إن (جينغ - تشا) ليس بالخصم السهل ..

هو يعرف كل أسرار الـ (نافاراي) تقريبًا .. وهو أستاذ
فى التفادى وبالطبع لديه خبرة لا بأس بها بالقتال الإيجابى
(سارايانا) .. الأسوأ هو أنه ترعرع مع الكاهن الأخير
ويفهم جيدًا كيف يفكر وكيف يحلم وكيف يتصرف ..
لن يسهل عليهم أخذ شىء من الكاهن الأخير وهم
يعلمون ذلك .. لكن هب انهم عذبوا أفراد هذه الأسرة
الطيبة لإجباره على الكلام .. هذه الأسرة التى لا ذنب لها
سوى أنها أوتته ..

هو لا يتحمل رؤية أعواد بامبو مدببة تحت أظفار
(سعدية) ، أو ثعبان يلتف حول عنق أبيها ..
إن لـ (ماهايانا) أساليب تعذيب عبقرية تعلموها من
الصينيين .. عندئذ لن يجد مفراً من الكلام .. بل الثرثرة ..
ويوم يحصلون على الكتاب .. من يدرى ما سيحدث
بعدها ؟

المصيبة الحقيقية هى أن (جينغ - تشا) قد أخذ أهفته
للتخفى والذوبان وسط أهالى القرية كما فعل (هن - تشو -
كان) ..

لهذا يتحتم أن يغادر القرية أو على الأقل يعرف مكان
هذا الشيطان ..
ولكن كيف ؟ ..

من السهل أن تبحث عن وافد جديد على القرية .. وافد
يتظاهر بالخرس ولامحه آسيوية .. هذا سهل .. سهل
لو كنت تتكلم العربية !..

قل لى بربك كيف تسأل حمقاء مثل (سعدية) عن
شخص له هذه الصفات مستعملاً لغة الإيماءات ؟!..
إن الأمر مستحيل أو هو أقرب ما يكون إلى
الاستحالة ..

وهنا بدأ (هن - تشو - كان) يفكر فى شخصى
المتواضع ..

إن شيئاً ما فى ذلك الأحق ذى المنظار يوحى بالثقة ..
إن عينيه صادقتان فيهما شيء من الذكاء .. ثم هو - قبل
كل شيء - يعرف (التبت) ويعرف رهبان الـ (ماهايانا) ..
وربما أكثر ..

فلماذا لا تحاول مصارحته ..؟

ولماذا لا تجرب طلب عونه ..؟

ولماذا لا تلقى بعبء السر الذى يثقل كاهلك بعض
الوقت ؟

★ ★ ★

ولهذا - فى الصباح الباكر - أخبرتنى أمى أن المعتوه
الذى زارنى ليلة أمس قد عاد يبغى مقابلتى ..

- « وهل (سعدية) معه ؟ » .
- « لا يا بنى .. يبدو أن هذا الأبله قد أعجب بك ! » .
- « إن كل بلهاء العالم يحبوننى يا أماه ولا أدرى سبب ذلك ! » .

ابتسمت فى رقة وإن لم تفهم دعابتى تمامًا ..
ثم إنها خرجت من الحجرة .. وبعد ثوان لمحت وجه
الفتى المغلق إذ دلف من الباب وخطوته مليئة بالتردد
والحيرة ..

جلس - كما طلبت منه - على الكنبه الخشبية .. وشرع
يعاين ظرف القماش الرخيص الذى يغطيها باحثًا عن بداية
مناسبة لما ينوى أن يخبرنى به ..

بضع دقائق .. ثم همس بصوت غليظ :

- « (جينغ - تشا) ! » .

- « من ؟ » .

- « (جينغ - تشا) .. هنا ! » .

تنحنحت وأشعلت سيجارة ومضيت أجوب الغرفة جيئة
وذهابًا .. وأنا أغمغم كمن يحدث نفسه :

- « اسمعنى يا بنى .. لربما أبدو حكيما .. ولربما

يوحى منظارى السمنك بعلم لا أملكه .. أنا أعترف أنتى
أبدو أذكى مما أنا عليه .. ولكن .. » .

وصرخت فى غلّ مشيرًا نحوه بطرف السيجارة :
- « .. إذا ظننت أن علمى يصل إلى حدّ فهم ما تقول ..
ومعرفة هذا الـ (جينغ - تشا) وما إذا كان اسمًا أو فعلًا ..
فأنت مخطئ ! » .

لم يتحرك .. ولم تختلج عضلة فى وجهه ..
امتصت عقب السيجارة فى جشع .. وقلت بعد أن
هدأت نوعًا :

- « أنا أمقت من يحدثوننى وكأننى على علم بكل
شئ .. أرجو أن تتحدث بشئ من التفصيل .. ومن بداية
القصة ... » .

لعق شفّتيه بطرف لسانه .. وبدأ يتكلّم ..
وكانت هذه هى البداية ..
بداية دورى أنا ..

★ ★ ★

استغرق الحديث نهارًا كاملاً ..
وكان أعجب حوار يمكن أن يدور بين رجلين ..
لك أن تتخيل ذلك المزيج العجيب من العربية الرديئة
والإيماءات - التى تصل أحيانًا إلى الوثب عبر الغرفة -
والإشارات ورسم الأشكال التوضيحية على (بلوك نوت)
قديم بقلمى ..

فهو - مثلاً - لم يكن قادرًا على شرح معنى كلمة (نمر) لى .. فكان يكشر عن أنيابه ويزار .. من ثم كنت أرسم له أسداً كروكياً وأسأله :

- كهذا ؟ » .

فيهز رأسه أن لا .. من ثم أرسم له كلباً .. وتمساحاً .. ونمراً حتى أدرك أنه يعنى الأخير ..

وكننت أنا أيضاً أزداد خبرة بمفردات لغته .. لكن بعض الألفاظ كانت عقبة حقيقية .. فمثلاً (الكاهن الأعظم) لم يستطع هو التعبير عنها ولم أستطع أنا فهمها .. إلى أن مد يده إلى صدر الجلباب وأخرج المجلة إياها وفتحها على صورة أحد رهبان التبت .. وفتح ذراعيه ليوحى لى بمعنى (كبير .. كبير جداً) ..

وهكذا فهمت أنه يعنى (الراهب الأكبر) أو (الكاهن الأعظم) .. وحرصت على أن أتذكر الكلمة : (ساكاسورانا) حتى لا نعود لذات المشكلة مرة أخرى .. (ساكاسورانا) .. (ساكاسورانا) .. أدعو الله ألا أنساها !..

وحين تحدث عن نفسه باعتباره (ناجا سورانا) أدركت أن (سورانا) معناها (راهب) أو (كاهن) أما (ساكا) فمعناها (أعظم) .. إذن فما معنى (ناجا) ؟ .. فهمت المعنى حين أشار لنفسه مراراً مؤكداً :



إلى أن مّد يده إلى صدر الجلباب وأخرج المجلة إياها وفتحها على
صوره أحد رهبان التبت ..

- « بعد لا ...!.. بعد لا ! » .

- « تعنى أنك الأخير ..؟ » .

- « نعم .. نعم .. أخير ... » .

إذن (ناجا) معناها : الأخير .. وهذا الفتى هو آخر
(سورانا) على وجه الأرض .. أى أنه - بالفعل - هو
الكاهن الأخير ..

وهكذا .. بدأ جدار عدم الفهم يتهاوى ..

آية لذة ونشوة غمرتني وأنا أرتاد هذا العالم البكر ..!
عالمًا لم أتخيل حتى وجوده .. وسنوات نضرة خضراء من
المعرفة تضاف لعمرى أنا الذى طويت الأميال والأزمان
إلى أرض باردة تغطيها الثلوج .. ويحلق فيها الرهبان
فوق الأرض ..

إن الفتى لا يكذب ..

فالصدق يشع من عينيه وصوته وخلجات يديه ..

لكنى لا أصدق حرفًا ..!.. وهذه مشكلتى وحدى ..

إنها معادلة صعبة جوابها الوحيد أن يكون الفتى
مخبولًا .. أى أنه يخرف لكنه يؤمن تمامًا بهذا الخرف ..
لكن الفتى عاقل تمامًا ..

حدسى يخبرنى بذلك .. وخبرتى الطبية التى - وإن
شككت فيها - لن تعجز عن معرفة الجنون حين تراه ..
يبقى إذن احتمال واحد ..
أن يكون هذا الفتى عاقلًا وصادقًا معًا ..
وعندئذ .. يكون (النافاراي) حقيقة لا غبار عليها ..

★ ★ ★

.

٨ - الهرب ..

حكى لى (هن - تشو - كان) - أو (الأخرس)
أو (الزهرة الزرقاء) أو (الكاهن الأخير) - كل شيء عن
عقيدتهم .. كما حكى لى ما عرفته أنت فى الفصول
السابقة ..

وسأحاول هنا أن أخص ما قاله بألفاظى أنا .. فلم يعد
داع لأن أغرقك فى تفاصيل الحوار الركيك الذى شربته
وحدى حتى الثمالة ..

قال لى الفتى إن (النافاراي) - مثلها مثل البوذية -
ليست ديانة .. بل هى فلسفة للتأقلم مع الحياة (*) .

وقال لى إنها انفصلت عن البوذية بعد ما سئم مؤسسها
(شيان - قه) من كل تلك السلبية والانفصالية التى تتعامل
بها البوذية مع العالم ..

إلا أنها ظلت أمينة على الكثير من فلسفات (بوذا) ..

(*) مذهب (النافاراي) هو وليد خيال المؤلف بأكمله ، لكن
ماذكر هنا عن البوذية صحيح تمامًا .

كان (بوذا) هو النبيل (سيدهارتا جوتاما) من (نيبال) الذى دربه نساك (البراهمانا) على التقشف ... إلا أن الفتى ظل ظامئاً إلى شيء لا يدري كنهه .. ظل ظامئاً إلى الحكمة وفهم الكون ..

وفى (بودجايا) شمال الهند ساقته قدماه إلى شجرة ، جلس يتفياً فى ظلها ويتأمل ... ويقال أنه فهم كل شيء فى جلسته تلك ..

وبعد أيام خرج يخبر الناس أنه وصل إلى الحقيقة .. فما هى هذه الحقيقة ؟ ..

قال (جوتاما) إن هناك أربع حقائق تحكم البشر .. هذه الحقائق هى المعاناة ، والرغبة فى شيء ما تولد هذه المعاناة ، لهذا يجب إطفاء الرغبة فى هذا الشيء ... ويجب على المرء أن يتعلم كيف يطفى رغبته هذه

ولإطفاء الرغبة فى كل شيء وضع (جوتاما) مبادئه المتمثلة فى العجلة الثمانية التى يقدها البوذيون ، والتى يمكن تلخيصها فى ثلاث نقاط :

١ - سيلا : أى السلوك الخلقى .. لا تسرق .. لا تقتل .. لا تكذب .. الخ ..

٢ - سماءهى : يجب أن تتعلم التأمل والتركيز .

٣ - براجنا : أى الحكمة .. يجب أن يدرك المرء أن كل شيء وهم .. حلم ..
من الصعب فهم هذه الفلسفة .. ومن المستحيل تطبيقها ..

لكن البوذية انتشرت فى آسيا إلى حد كبير .. ومنها نشأ
فرعان أساسيان هما :

- ١ - الهينايانا (الناقلة الصغيرة) وهى منتشرة فى
سيلان وبورما وسيام ولاوس وكمبوديا ، ويرتدى رهبانها
الثياب الصفراء ويحلقون رؤوسهم تمامًا .
- ٢ - الماهايانا (الناقلة الكبيرة) وقد سبق لنا الحديث
عنها ..

ويرى البوذيون أن العمل (كارما) يؤدى لنتائج بعضها
ضار ، لهذا يحاولون الوصول لحالة الانطفاء الدائم التى
تلتغى نتائج الـ (كارما) وذلك عن طريق التأمل المستمر .
ويسمون حالة الانطفاء الدائم باسم (نرفانا) .
وهى اللحظة التى تتلاشى فيها علاقة المرء بما حوله ،
ويكتمل استغناؤه عن الحياة المادية .

وجاءت الـ (نافاراي) لتلتغى أكثر هذه المعتقدات ..
وكما قلنا سابقًا تعتمد فلسفة الـ (نافاراي) على تفادى
الأذى والتسامح إلى أقصى حد ممكن ، لكن إذا زاد الأذى عن
حدّه كان الرد .. الرد القاسى المرير الذى يدمر الخطر تمامًا ..

ويرتدى الـ (نافاراي) ثياباً زرقاء ويعقصون شعورهم
خلف ظهورهم ويعلقون قرطاً في آذانهم... كما أنهم
لا يرفضون منتحات الألبان على عكس البوذيين
المخلصين ..

إن سيطرة الروح على الجسد هي جوهر فلسفة
الـ (نافاراي) ..

وهم يؤمنون أن البوذيين نصّابون .. في حين يؤمن
البوذيون أن الـ (نافاراي) أوغاد... ويؤكدون أن كتاب
الـ (شوكارا) مسروق منهم لأنهم هم الأصل في كل هذا
الهراء ..

وأخيراً .. لا يعرف بوجود الـ (نافاراي) سوى عدد
محدود جداً من أهل (التبت) لأنهم متحفظون .. وأسرارهم
لا تخرج للعالم الخارجي أبداً ..
لهذا - أرجوكم - ليبق هذا الكلام سرّاً خاصاً فيما
بيننا !..

★ ★ ★

وفي النهاية علمت ما كان من موضوع (جينغ - تشا)
الوافد الجديد على القرية ، وعلمت أن سرّ إطلاعي على كل
هذا هو معرفة ما يمكن أن أسهم به في العثور عليه .. فأنا
أتكلم العربية وأنا ابن القرية وأعرف ما ينبغي عمله لإيجاد
(نافاراي) ضائع !..

أدركت دون جهد أن (هن - تشو - كان) يخشى (جينغ - تشا) كالموت ذاته ، وأدركت كذلك أن كارثة دانية قد لاحت في أفق حياتي ..

سألته وأنا لا أتوقع إجابة :

- « وأين أخفيت الكتاب ؟ » .

لا إجابة بالفعل .. هو يثق بى لكن ليس إلى هذا الحد .. فليكن ..

وبعد أن غادرنى الفتى عائداً إلى عمله ، ودعت أُمى وركبت سيارتى متجهاً إلى المركز .. كان الغروب يزحف على القرية حين قابلت المأمور ، الذى تربطنى به علاقة حميمة بعد قصة النداهة إياها ..

فما إن رآنى حتى احتقن وجهه وتطاير اللعاب من فيه وشرع يصرخ فى جنون كأنه يموت :

- « أخيراً !.. هيه أيها العجوز !.. تذكرت أصدقاءك !.. هاه ! » .

ظللت واقفاً فى هلع منتظراً حتى تنتهى (عاصفة) مرجه وترحيبه .. وأنا أتساءل فى سرى : لماذا يصرخ هذا الرجل !..؟

وما إن هدأ حتى جلس منهكاً يلهث وطلب لى شايًا .. ثم سألنى عن الريح الطيبة التى ألقى بى ها هنا .. فقلت وأنا أناوله لغافة تبغ :

- « أبحث - لأسباب يطول شرحها - عن غريب ظهر
 فى القرية أمس .. » .
 هرش رأسه فى حيرة .. ثم غمغم :
 - « مطلب غريب لكن يسهل التحقق منه .. يكفي
 إرسال الخفراء فى جولة سريعة .. ولكن لمة ؟ » .
 - « سيطول شرح أسبابى كما قلت .. ولا تنس أنك
 مدين لى بخدمة .. » .
 - « هذا مطلب عادل ... » .
 وهكذا ...

حين عدت لدارى كنت واثقًا أن غريبًا لم يزر القرية
 أمس .. أو - بمعنى أدق - لم يره أحد بعد ..
 هذا يعنى أن (هن - تشو - كان) واهم أو كاذب .. أو أن
 (جينغ - تشا) أجاد الاختفاء فى هذا البلد ، فحتى عمال
 الترحيلة كانوا معروفين لدى مقاولى الأنفار ومن العسير
 أن يندس أحدهم بين صفوف هؤلاء العمال ..
 والسؤال هنا هو ..

هل هو يبحث عن الكاهن الأخير أم هو يعرف مكانه
 وينتظر ؟

عندئذ - لو صخ كل هذا السخف يكون (هن - تشو -
 كان) فى مأزق حقيقى ، والموت يترصده فى كل لحظة ..

ولكن .. ما شأنى أنا بمشاحنات كهنة (النافاراي) من
أجل كتاب عمره عشرة قرون ؟ .. إننى - والحق يقال -
إنسان غريب .. غريب .



إلا أن تلك الليلة كانت أسود ليالى حياتى ..
طيلة الوقت يدور شريط المحادثة فى ذهنى ، وأسمع
أصواتاً وأرى وجوهاً .. وثمة شعور عارم بضرورة أن
أقحم نفسى فى هذه القصة ..
وحين صاح الديك - أخيراً - كنت قد أزمعت أمراً ..
إلا أننى حين جلست لألتهم الفطور الذى أعدته لى أمى
فوجئت بالفتى آتياً لزيارتى ، وكانت نظرة أمى إليه غنية
عن كل كلام .. ألن يتركنا هذا المعتوه وشأننا ؟! » .
أزحت طبق البيض المقلّى تجاهه .. وقلت باسمًا :
- « هيا يا (هن - تشو - كان) .. بسم الله ! » .
إلا أنه لم يبد استجابة .. كان واضحاً أنه قضى ليلة أسود
من قلب الكافر ، أعصابه منهارة تمامًا .. والإرهاق على
كل تجاعيد وجهه التى تضاعفت خلال ساعات .. فقط دمدم
بعصبية :

- « (جينغ - تشا) ! » .

- لم أجده ... » .

- « هو .. هنا .. » .

التهمت لقمة كبيرة ولعقت شفتى التى لوئها صفار البيض .. وقلت :

- « أعرف .. لكنهم لم يجدوه .. » ..

- « عض شفته السفلى فى حلق :

- « هذا خطر .. » .

أنهيت طعامى .. ثم بدأت أطرح عليه الفكرة التى ولدت
عندى بعد الليلة الفظيعة التى مرت بى ..
لماذا لا يهرب ؟..

إن القاهرة كبيرة - حتى فى ذلك الزمن - ويستطيع فيل
كامل أن يذوب فيها فلا يجده أحد ، إذن لماذا لا ينزح
للقاهرة ؟

ولماذا لا يعيش عندى فى شقتى حتى يقضى الله أمرا
كان مفعولا ؟

ولماذا لا يحاول العودة للتبت ؟.. أنا لا أعرف إذا
ما كانت هناك سفارة للتبت فى مصر ولا أعرف كيفية
استخراج تأشيرة للذهاب إلى هناك .. لكنى - على الأقل -
أستطيع شحنه إلى (نيبال) أو (الهند) أو (الصين) حيث
يكون على مسافة (فرقة كعب) من وطنه !..

هو لن يكلفنى شيئا - خاصة وهو لا يأكل اللحوم -
وسيسلبنى إلى حد بعيد فى وحدتى ، وسيطرده الأشباح من
غرفة نومى ، ولربما نجحت فى إقناعه بتنظيف المنزل
والطهى مقابل إقامته !..

واستغرق الأمر وقتًا لا بأس به لإقناعه .. فقد كان ضائعًا تمامًا ولا يدري ما هو الصواب .. لكنه فى النهاية وافق ..

ثم إننى ذهبت إلى (السقا) فأخبرته بما انتويه .. طبعا قلت له إن حالة الفتى تهمنى طبيا وسأقوم بعرضها على زملائى فى كلية الطب ، وأفهمت (سعدية) أن الفتى ليس شيطانا بل هو مصاب بمرض من نوع نادر يجعله يتصرف بأساليب عجيبة ..

فى نفس الوقت تسلل الفتى إلى المخزن فحفر الأرض واستعاد كتابه الثمين ثم أعاد ردم الحفرة ، وخرج إلينا ليودع - بفتور واضح - الأسرة التى استضافته فى هذا الزمن ..

لم يكن الفراق مؤثرا لأن (سعدية) لم تعد تميل إليه بل هى تخشاه كثيرا فى الواقع ..

ولهذا - وحين ركب الفتى السيارة جوارى - بدا لى أن صفحة القرية قد أغلقت نهائيا فى كتاب حياته ..

كان متوترا راغبا فى الفرار ..

وقد أنساه التوتر أن يندهش ..

فقد كانت هذه هى أول سيارة يركبها فى حياته !..

وطيلة الطريق المرهق إلى القاهرة لم ينبس ببنت شفة ، حتى أدركت أنني قارفت خطأ جسيماً بقبولي اصطحاب هذا الصنم إلى دارى .. ولو كنت بالذكاء الكافى لاقتنيت قطاً أو كلباً ..

لكننا لا نملك أن نختار أخطاءنا !

★ ★ ★

على أن حياتى لم تكن مملة إلى هذا الحد مع (هن - تشو - كان) ففى الساعة الواحدة من صباح ذلك اليوم صحت من النوم على صوت جلبة آتية من غرفة المكتب فى شقتى .. وكنت أعلم أن الفتى يغفو هناك على حشية فرشتها له على الأرض ، لأنه لم يعتد نوم الأسرة .. وكانت هذه هى ليلته الأولى فى دارى .. لهذا أضأت الأنوار وهرعت إلى هناك .. فوجدته واقفاً على الأريكة متخذاً وضعاً متحفزاً للقتال وهو يحرك ذراعيه حركات سريعة عصبية لا داعى لها أبداً ..

يا لك من معتوه ..!!

- « هل جنت أخيراً ؟! » .

كذا صرخت فيه بعصبية والنعاس لم يبرح جفنى بعد ..

- « تدريب :- أنا .. قتال ! » .

- « وهل التدريب لا يحلو لك إلا فجراً ؟! » .

لوح بذراعه فى الهواء .. وهتف :



فوجدته واقفاً على الأريكة متخذاً وضعاً متحفزاً للقتال وهو يحرك
ذراعيه حركات سريعة عصبية لا داعي لها أبداً ..

- (نافاراي) .. ليل ..! « .

بدأت أفهم .. فهؤلاء القوم مصممون على مخالفة الطبيعة البشرية في كل شيء ، وهم لا يجدون وقتاً أفضل للتدريب سوى حين ينام خلق الله من معدومي اللياقة البدنية مثلي ..

ولكن .. من يشرح هذا للجيران ؟ ..

وهكذا اتخذت الإجراء الوحيد الممكن .. أحضرت له قميصاً وبنطالاً من ثيابي وجعلته يرتديهما .. وكان القياس واحداً تقريباً ، ثم أننى جررته من يده وأغلقت باب الشقة صاعداً إلى سطح البناية ..

كان السطح خالياً سوى من بقايا قرميد مهشمة .. وبعض أكوام الرمل ، وكان كل هذا يتلأأ في ضوء القمر الفضى البارد .. ولما لم يكن هناك من يرانا سوى خالقنا ؛ جلست على قالبين من القرميد وأشعلت سيجارة ، ثم لوحت بذراعى فى الهواء طالبا منه أن يستمر ..

- « هيا .. أرنى كيف تتدرب .. » .

بدا عليه الرضا لشعوره بالهواء الطلق .. وبدأ يتنفس بعمق .. ثم أنه انتزع القميص ليقف عارى الجذع كاشفاً عن أجمل - وإن لم يكن أضخم - تكوين عضلى رأيته فى حياتى .. كل عضلاته مرسومة محددة كأنما فى أطلس تشريح ملون ... وعلى ظهره رأيت وشماً لتنين مجنح ..

وبين دخان التبغ لمحتة يأتى بحركات تمهيدية بطيئة ..
ثم بدأ يتحرك .. يثب .. يتراجع .. يهجم .. يضرب خصوماً
وهمين ويتفادى ضرباتهم .. يتقلب على الأرض ..
وسقطت لفافة التبغ من أنامله دون أن يشعر ..
إن هذا الذى أراه ليس حقيقياً .. لا يمكن أن يكون هناك
توازن عضلى بهذه الدقة والرشاقة .. لا يمكن أن يكون هذا
الجسد من لحم ودم ..

★ ★ ★

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء
الأزرق .. عندئذ يبدأ فجر الـ (نافاراي) .

★ ★ ★

كان الكاهن الأخير يطير فى الهواء .. يسقط على
ذراعيه .. يتقلب .. يرفع وجهه نحو قرص القمر ..
لم يعد هناك وكذا أنا .. لقد ذاب تماماً .. تلاشى فى ذلك
السُر الذى يحكم قوانين الكون ودوران الذرات وهجرات
الطيور ..

امتزج بالنجوم والليل والقمر حتى غدا جزءاً منها ..
كنت أرمق فى انبهار (السيلويت) الأنيق المميز له
يتحرك أمام قرص البدر المكتمل ، فأدركت أن هذا المشهد
هو الوحيد الجدير بأن يوضع أمام هذه الخلفية الكونية
الخالدة ..

ثم كان يدور فتلتصق قسمااته وعضلاته فى الضوء
الفضى الخافت ، ولم يكن يشعر بوجودى .. بل - أراهنكم -
لم يكن يشعر بوجوده هو نفسه ..
عندئذ .. وعندئذ فقط .. أدركت أن هذا الفتى صادق فى
كل حرف قاله لى .. لقد كان إنسانا مختلفا تماما عن
الآخرين ..

لقد كان زهرة زرقاء ..

★ ★ ★

فى الصباح الباكر أزمعت أن أريه القاهرة ..
مدينتى الجميلة العجوز المنهكة تتمطى تحت شمس
الصباح فى كسل ... ومعه نخترق الدروب ..
كان مندهشا من كل شىء .. سأل عن كل مكان .. ويثير
فضوله كل ما يراه ..

على أن اهتمامه الخاص كان منصبا على الحافلات ..
فهو لم يرها من قبل .. وبالطبع لم يرها فى حالة التكديس
الجسدى المريع المميز لحافلاتنا ، ولقد بدا لى من الطريف
أن أدعوه إلى ركوب إحداها ..

وشرعت - من طرف خفى - أرمق ذهوله ومحاولته
ألا يصطدم بتلك أو يدوس قدم ذاك ، لقد كان هذا تحديا
رهيبا حتى للكاهن (نافاراي) مدرب على التفادى ..

ولم يثر منظره أية رغبة لأنه بدا للقوم مجرد سائح
آسيوي آخر .. إلا أن حادثاً صغيراً كاد يكشف أمرنا ..
إذ فجأة سمعنا صرخة امرأة، وسمعنا صراخ الناس
يدعو السائق أن يتجه لمخفر الشرطة فعلمت أنها القصة
المعتادة: هذه المرأة لم تجد حافظة نقودها ... وهنا وجدت
شخصاً - بادی الشراسة - يثب من نافذة الحافلة .. مذ
أحدهم يده ليمنعه لكن اللص أخرج مدية بشعة المنظر لوح
بها في وجهه مهدداً .. ثم واصل هربه من النافذة .. وقافزاً
إلى الشارع بين صفوف السيارات ... نظرت بطرف عيني
إلى (هن - تشو - كان) لأرى رد فعله .. فوجدت علامات
اللامبالاة كاملة على وجهه فأدركت أنه لا يريد لفت الأنظار
أو التدخل ..

وفي الشارع تصدى أحد الشباب المتحمسين للص ..
إلا أن هذا بادره بضربة خفيفة من المدية جرحت وجهه،
ثم أطلق ساقيه للريح تاركاً الشاب ممسك وجهه وقد انثنى
على نفسه ..

كانت هذه هي الغلطة التي ارتكبها اللص وما كان ينبغي
أن يفعل !..

إذ في ثوان تبدلت ملامح (هن - تشو - كان) .. ورأيت
يثب كالنمر من نافذة الحافلة بين أجساد الناس المحتشدين
الذين يرقبون ما يحدث ..

ورأيت يركض كالفهد بخطوات لا تصدق خلف اللص ..

شعر اللص أن هناك من يقتفى أثره فزاد سرعة جريه ..
لكن (هن - تشو - كان) كان يقطع فى كل وثبة أربعة أمتار
كاملة ، وأخذت المسافة بينه وبين اللص تضيق ..
وتضيق ..

وهنا أدرك هذا الأخير أن الصواب فى التوقف
والاشتباك .. ومكشراً عن أسنانه كالذئب وقف فى وجه
(هن - تشو - كان) ملوحاً بمديته بما معناه : الويل لك إن
تماديت ...!..

كنا بعيدين عن المشهد .. لكننا جميعاً سمعنا (هن -
تشو - كان) يصرخ بصوت مرعب :
- « تشا سارايانا ! » .

قالها وهو يبعد ساقيه .. وبالطبع نهل اللص من هذا
لكنه واصل التلويح بسلاحه هناك حيث وقف على
الرصيف بمنتصف الشارع ..

- « جوانغ سارايانا ! » .

ومد ذراعيه إلى أقصى امتداد لهما مباعداً ما بين
أصابعه ..

ثم

- « كيو سارايانا ! » .

وهو يرجع رأسه للوراء ثم

بعد ثانية تعالت أصوات ركاب الحافلة يطلبون الرحمة
للص الذي تحول إلى خرقة صالحة لتلميع الأحذية ..
وبالطبع لم تعد فى فمه سنّ واحدة سليمة ..

يا لك من مجنون يا (هن - تشو - كان) !.. ستجلب
علينا القاهرة كلها وكل رجال الشرطة .. وعندئذ ستبدو
قصتى عن الـ (نافاراي) عجيبة بعض الشيء .. فضلاً عن
احتمال لا بأس به أن يعرف عدوك بهذه القصة ..

- سوان هاتشاه سارايان !! « .
كذا هتف وهو يرمق بقايا ضحيته المكسّسة على
الرصيف ..

إلا أنني كنت قد لحقت به وجذبتّه من ذراعه لأبعده عن
الزحام الذى بدأ يتبلور حولنا .. ومضينا نمشّ حثيثاً بين
الفضوليين الذين لم يجروا أحدهم على إيقافنا لأن الدهول
كان يعم الجميع ..

- « أهنتك على الدعاية التى صنعتها لنفسك !.. سنراك
فى التليفزيون قريباً تدرّس الدفاع عن النفس .. » .
- « أنا .. أضرب .. سيئ .. ! » .

- « نعم .. نعم .. ولكن سنواصل هذه المناقشة الفكرية
فيما بعد .. » .



« كالنمر الذى يفضل النوم فى الشمس ، فلا يخرج
مخالبه إلا لحظة الخطر الحقيقى .. » .

★ ★ ★

هادئة مضت الأيام ، ولكنها لم تكن مملة قط ..
تعلمت منه الكثير عن فلسفة الـ (نافاراي) و (التبت)
والبوذية ، وتعلم منى الكثير عن العرب والفراعنة وأكل
القول المدمس .. !

الحق أقول لكم إنه كان ظريفاً لطيف المعشر ... وكان
يتعامل مع الحياة ببراعة وانبهار يلذان للنفس ، بالإضافة
إلى أن روحه كانت أطهر من قطرات المطر .. وأنقى من
الثلج الأبيض ..

أما عن إقامته فى دارى ، فلم تكن ثمة مشكلة لأن
الجيران اعتادوا كثرة أسفارى وغرابة أطوارى .. ولم
يجدوا غرابة فى أن أستضيف صديقاً أسيوياً فى دارى ..
كان الفتى قد ارتدى بذلات عصرية أنيقة ابتعتها له ،
وشدب خصلات شعره ، واعتاد وضع منظار أسود فاخر ..
فبدا كأنه رجل أعمال ناجح قادم من (هونج كونج) ..

صحيح أن هناك خطراً لا بأس به فى أن يستوقفه أحدهم
سائلاً إياه عن جواز سفره .. وعندئذ سيُعتبر متسللاً للبلاد ؛
لكن هذا لم يحدث حتى الآن لحسن الحظ ..

★ ★ ★

فى ذلك اليوم الكئيب حدث ما أخشاه ..
كان (هن - تشو - كان) قد نزل يتجول بالجوار كعادته
فى الأيام الأخيرة ، فى حين كنت منهمكًا فى تقشير البصل
فى المطبخ والمخاط يسيل من أنفى مخلوطاً بالدمع .. حين
رن جرس الهاتف ..

خرجت للصالة لأجيبه وأنا أمسح أنفى فى كتف
البيجامة ومنظارى مكسوّ بالدموع ..
ومن الهاتف دوى صوت (طلعت) زوج أختى صارخًا :
- « كيف حالك يا دكتور ؟ » .

أدركت أنه يتحدث من الهاتف الوحيد بقرية (كفر بدر)
الموجود عند العمدة .. وهو من نوع الهواتف التى تعمل
بالـ (مانفلا) ، وترغمك على الصراخ حتى ليسمعك
الطرف الآخر دون هاتف ...!

أخذ يسألنى عن كل من بطرفنا .. وأنا أرد فى اقتضاب
أن أحدا لم يمت بعد للأسف ... وهنا صاح فى مرح :
- « هل ما زال (الأخرس) عندك ؟ .. لقد سأل عنه أخوه
أمس ! » .

- « أخ .. أخوه ؟! » .

ضحك - من قلبه - وبدأ يفسر لى (ضربة المعلم) التى
حققها :

- « أمس كنت مع الحاج (محمد السقا) حين مرّ علينا سائق لورى صديق من القرية المجاورة وسأل عن شاب غريب الملامح وفد على قريتنا من شهر أو أكثر .. قال لنا إنه يبحث عنه لأنه شقيق (التباع) الذى يعمل معه ، وهو فتى يشبه صاحبنا تمامًا فى ملامحه .. وإن كان يتكلم قليلاً .. وقد قال إنه يبحث عن أخيه فى (كفر بدر) لأنه ضاع منه منذ شهور .. » .

كان مخى يغلى بالحمى بينما (طلعت) يواصل حكايته :
- « الغريب أن هذا (التباع) هو نفسه غريب الملامح غريب الأطوار ظهر فجأة فى تلك القرية ، وأراد سائق اللورى أن يكسب فيه ثواباً فأخذه ليعمل معه .. وتطوع ليساعده فى البحث عن أخيه ..! » .

فتحت فمى لأسأل السؤال الذى سأجن لو لم أسأله :
- « وهل .. هل أخبرتماه عن (الأخرس) ؟! » .
- « بالطبع .. وماذا تبظن ؟ .. إن الإنسان قلما يجد فرصة ملائمة لعمل الخير كهذه الفرصة ! » .
- و ... و ... أخبرتماه بعنوانى فى القاهرة ؟ » .

ضحك في فخر .. وصاح :

- « طبعا .. وكتبته له على ورقة صغيرة .. سيكونان

عندك اليوم أو غدا على الأكثر .. ولكن ماذا حدث

يا دكتور؟ .. هل أنا أتوهم ما أسمعه أم أنت حقًا تبكي؟! » .

!.....

...

★ ★ ★

۹ - (جینف - تشا) ..

الفرار!.. الفرار!..

تسلطت الفكرة على ذهنى فلم أستطع إيجاد سبيل لمنطقة ما سمعت ... الفرار !.. إنه أت لدارى أنا بالذات ..
ذلك الكاهن الفاشل المتعصب المولع بالدماء والسلطة ..
إنه قد أحاد لعبته ..

فَرَّ - بمجرد وصوله - إلى القرية المجاورة، وذاب
هناك بين القرويين بأسلوب شبيه بأسلوب (هن - تشو -
كان)، ثم إنه بدأ يعمل على عربية لورى .. وحكى لسائقها
قصته الحزينة .. قصة الأخ الضائع بين القرى باحثًا عن
أخيه المتخلف عقليًا، ولم يملك السائق سوى أن يساعده
وطبعًا كانت (كفر بدر) هى المرشحة الأولى للبحث ..
وها هو ذا قد وجد ضالته دون جهد ..

وها هو ذا قد

ترررررن!..

كان جرس الباب قد أغلق دائرة كهربية تتصل بجهازى
العصبى ، فأجفلت ووثبت لأعلى متراً .. ثم إننى استجمعت
شجاعتى وانتظام ضربات قلبى .. ففعلت أول ما ينبغى
عمله .. دسست قرصاً من الـ (نيتروجليرين) تحت
لسانى كى لا تخذلنى شرايىنى التاجية .. واتجهت للباب
عالمًا أن القادم ليس سوى (هن - تشو - كان) الذى لم
أعطه نسخة من مفتاح الشقة .. سأحكى له كل شيء
فوراً ..

ولم يكن القادم هو (هن - تشو - كان) ..
كان فلاحاً مشعث الشعر تحت طاقة صوفية قدرة ،
وكانت لحيته نامية وعلى جسده جلباب بال .. وقبل أن
أسأله عن مرامه أدركت دون جهد أنه هو ..!
(جينغ - تشا) .. أعرف هاتين العينين الضيقتين
والبشرة الصفراء والوجنتين البارزتين .. إن من يحمل
هذه السمات لا يمكن إلا أن يكون آسيوياً .. وبالتحديد من
منطقة التبت .. وللدقة لابد أن يكون هو (جينغ - تشا) ..!
من غيره ؟ ..!

قبل أن أقرر ما أفعل ، لمحت عينيه الباردتين القاسيتين
تنظران لوجهى فى ثبات .. وفى صوت غليظ تساءل :
- « دأكر ريفات ؟ ! » .

- « نعم .. نعم .. دكتور (رفعت) .. هذا أنا .. » .
ومددت يدي لأغلق الباب في وجهه ..
وهنا لا أذكر ما حدث ..

لقد كانت انعكاسات هذا الفتى تفوق القدرة التحليلية
لخلايا شبكيتي .. ولا يمكن فهم ما حدث إلا بتصوير
المشهد بكاميرا سينمائية تدور بسرعة ألف كادر في
الثانية ، يتم بعدها عرض الفيلم بسرعة أربعة وعشرين
كادرًا ..

فجأة وجدت نفسي ملقى في ركن الصالة .. وكان هو قد
دخل الشقة وأغلق الباب خلفه .. بل حطم منظاري !!
لم أستشعر ألمًا لأن الذهول أضاع كل ألم ... ومضيت
أراقبه في توجس وهو يدور في أركان الشقة باحثًا في كل
غرفها عن شيء ما .. ثم رأيته يعود لي ويقف أمامي ..
ويصرخ بصوته الغليظ :

- « (هن - تشو - كان)؟! » .

لم أر فائدة من التظاهر بالجهل .. فقلت ملهمًا أشلاء
كبريائي المبعثرة :

- « خرج .. » .

نظر لي في ريبة بضع ثوان .. ثم قرر - كما يبدو - أن
يعقد لي امحاثًا سريعًا ..

وقال بتؤدة :

- « (شوكارا) .. أين ؟ » .

أدركت أنه شبه متأكد من أنني أجهل الموضوع ، فهو يتوقع - وهذا حق - أن الكاهن الأخير لم يصارحنى بمكان الكتاب إن كان صارحنى بوجوده أصلاً .. وصممت أن أبدو بريئاً وغيباً إلى أقصى حد ..

إلا أنه انحنى إلى جوارى .. والتقط بين إبهامه والسبابة بعض الشعيرات من سالفى .. وشدها .. آآآه! ..
يا للآلم ..! كأنه ينتزع جزءاً من مخى .. كُف عن هذا! ..! ..
كُف ..

- اسمعنى يا أسد .. آه ..! أستاذ .. أنت رجل متحد ..
متحضر وابن ناس ويمكننا أن نتفاااااااهم ..! آى ! » .
- « (شوكارا) أين ؟ » .

غريب هذا ..! هو واثق من أنني أجهل مكان الكتاب ..
لكنه مصمم على تعذيبى إلى آخر درجة يكون بعدها واثقاً
تماماً ..

- « (شوكارا) .. أين ؟ » .

آى ..! كيف أخبر هذا المعتوه أن تعذيبه وصل للذروة
وأن ما يتحملة الـ (نافاراي) ليس هو ما يتحملة شيخ فان
مثلى ؟



إلا أنه انحنى إلى جوارى .. والتقط بين إبهامه والسبابة بعض
الشعيرات من سالفى ..

- « (شوكارا) .. أين ؟ » .

ترررررن ! » .

جرس الباب !.. جاء في وقته لأنه أجفل وأطلق سراحى
- الفتى وليس الجرس - وتفكر في الموقف هنيهة ..

ثم إنه نهض واتجه للباب ووقف خلفه .. ثم مدّ يده
ليفتحه مبتعدًا عن مجال بصر من يدقّ الجرس ..

انفتح الباب ودلف منه الوجه المألوف الجديد لـ (هن -
تشو - كان) .. فى يده كيس ملىء بالبيض ابتاعه من
السوق وعلى ثغره ابتسامة الظفر كطفل بعثته أمه للسوق
أول مرة وعاد موفقًا ..

وفى مرح التفت ليحدث من حسبه أنا .. ذلك الذى فتح
له الباب ..

وهنا التقت العينان .. وفهم كل شيء ..
وانغلق الباب محدثًا جلبة ..

★ ★ ★

ساد الصمت المكان فلا شيء سوى صوت أنفاسنا ..
ثم أن (جينغ - تشا) اقترب فى تودة من (هن - تشو - كان)
وهو يتسم فى لزوجة ...، وللمرة الأولى أرى الرعب فى
عيني الكاهن الأخير .. نظرة فأر وقع فى المصيدة .. أو قط
ترتفع حوله مياه الفيضان .. أو كلب تحيط به الأفاعى ..
أو أفعى فى جحر المانجوست .. أو أى رعب تتخيله ..

بدأ (جينغ - تشا) يتكلم بلغة لا أعرفها ..
كان صوته غليظًا بطيئًا مليئًا بالسخرية والغرور
والتوعد ..

أما (هن - تشو - كان) فكان يردّ بعصبية وتوتر بينما
المقت يلتصق في عينيه .. كانا يتبادلان الاتهامات والسباب
طبعًا ..

وهنا بدأت أستعيد صفاء ذهني ..
حتمًا سيحدث صراع دموي ... وليس لى أن أخشى شيئًا
على (هن - تشو - كان) لأنه الأفضل تدريبًا .. لكن له
نقطة ضعف واحدة .. هي أنا !!

نعم .. بالتأكيد سيحاول (جينغ - تشا) تهديد حياتي
للضغط على خصمه ، وبالتالي لن يكون جبنًا منى أن أحاول
الانسحاب في صمت لأن وجودى سيزيد من متاعب الكاهن
الأخير فقط ..

وببطء .. ببطء بدأت أزحف نحو باب الشقة ..
كانت محادثتهما مستمرة لهذا نسيا وجودى تمامًا ..
وفجأة بدأ الاشتباك ...

كنت عند منتصف الطريق إلى باب الشقة حين سمعت
صوت سوط يشق الهواء فأدّرت رأسى لأرى ..

لم يكن سوطاً بل هي ذراع (جينغ - تشا) التي امتدت
تمزق الهواء تجاه بطن الكاهن الأخير ، وكانت أصابعه
متخذة وضعا غريباً كالعنكبوت مما جعلنى أرجح أنها إحدى
قبضاتهم السرية ..

وهنا أثار ذهولى ما حدث ..
لقد تقوس (هن - تشو - كان) للأمام قدر استطاعته
مبعداً تجويف بطنه عن القبضة ، ثم استعاد توازنه ..
وتفادى ركلة شنيعة كادت تنسف رأسه ..
كان يتفادى .. يتفادى كأفضل ما يكون ..

★ ★ ★

« لو أن لصاً هاجم دارك فلن يمنعه (التفادى) من
سرقته .. لن يمنعه من إيذاء أمك العجوز .. لن يمنعه من
تمزيق كتب صلواتك وسكب زيت الموقد .. »

★ ★ ★

- « تشا ساراينا ! » .
صرخ (هن - تشو - كان) وهو يباعد ما بين ساقيه ..
وهنا لمحت لمحة من الذعر ترسم على وجه (جينغ -
تشا) ..

- « جوانغ ساراينا ! » .
صرخ الكاهن الأخير وهو يباعد ذراعيه عن جسده ..
ثم أردف بالصيحة الأخيرة وهو يعيد رأسه للخلف (لقد
صار هذا المشهد مملاً) :

- « كيو ساراينا ! » .

واندفع كالسهم الذى تحرر من قوسه نحو خصمه
الأزلى ..

ما أروعه من مشهد !.. للمرة الأولى أرى قتال
الـ (نافاراي) يدور بين خصمين متكافئين .. لم يكن (جينغ
- تشا) بالخصم السهل ، وبدا لى أنه يعرف مكان واتجاه
كل ضربة ويعرف كيف يتفادها قبل أن تلمسه .. مزهريّة
ثمينة تتهشم .. ثم أخرى !..

صحت فى هلع وأنا أقف فيما بينهما :

- « أتوسل لكما .. اصعدا إلى سطح البناية فهناك
متسع للجميع .. » .

وهنا وجدت نفسى وقد طرت لأسقط على الأرض فى
ركن الصالة وكل عظامى تتن .. من ضربنى ؟ ومتى ؟
وكيف ؟.. لا أدرى .. المهم أن الشخص العادى مثلى هو
ذبابة إذا ما اشتبك مع هذه الوحوش ، ولربما كان الأوفق
لى أن أبادر بالفرار من هذا السيرك ..
ترررررن !..

جريت مترنخاً لأفتح باب الشقة .. فوجدت جارى
الأستاذ (زكريا) مدرس الجغرافيا الذى يقطن بالطابق
الأسفل .. وكان يرتدى البيجامة وطاقيّة صوفية ووجهه
محتقن كالطماطم .. ويصرخ :

- « ماذا دهاك أيها المنحل ؟ .. هل جنتت !؟ » .
أدركت أن الجلبة التى أحدثها الصراع كادت تسقط
السقف فوقه ..

قلت له فى رقة مفسرًا :

- « معذرة .. ولكن عندى كاهنين من الـ (نافاراي) من
القرن السادس عشر ، وهما يتصارعان الآن .. أنت تفهم
هذه الأمور ! » .

فتح فاه فى ذهول ليقول شيئًا .. وهنا فوجئ بـ (جينغ -
تشا) يبرز من داخل الصالة حاملاً كرسياً خشبياً ثَقِيلاً وهو
يعوى كالذئب ويهوى به على رأس (هن - تشو - كان)
الذى تلقى الكرسي على ساعديه .. فتهشم الخشب متناثراً
فى كل مكان ..

- « مجنون ! .. كلكم مجانين ! » .

صاح فى ذهول وهلع وهو يولى الأدبار قائلاً كلاماً
كثيراً عن حياة العُزَّاب .. وعن توقعه أن القيامة ستقوم فى
موعد أقصاه هذا الشهر .. وعن الحكومة التى تترك أمثال
هؤلاء ينعمون بالحرية ..

ولحقت أنا به وقد أدركت أن الوقت قد حان لذلك ..
هبطت خلفه درجات السلم ومعه دخلت من باب شقته ،
فما إن أدرك أننى وراءه حتى صرخ فى عصبية :

- « ماذا تبغى أيها الأحمق ؟ » .

ثم صرخ فى ابنته الشابة التى هرعت بقميص النوم
لترى ما هنالك :

- « وأنت !.. ادخلى غرفتك فوراً ! » .

صحت فى توتر محاولاً جعله يفهم الموقف :

- « أستاذ (زكريا) .. صدقنى .. ليس الوقت مناسباً
لأرائك الخاصة فى .. إن هذين الشابين فى شقتى سيقتل
أحدهما الآخر .. يجب أن نطلب الشرطة فوراً .. » .

كان دوى المعركة فوق رءوسنا مستمراً حين نظر لى
الرجل فى حيرة .. ثم غمغم :

- « إذن هما ليسا من شلة السوء الخاصة بك ؟ » .

ارتفع الدم إلى رأسى :

- « أية شلة سوء ؟!.. هل سبق أن عرفت لى
أصدقاء ؟!.. وأى سوء يُرجى من كهل أصلع مصاب بالربو
والذبحة الصدرية مثلى ؟!.. هلم هات الهاتف قبل أن تغرق
الدماء سلالم المبنى .. » .

بدا كأنه اقتنع .. فهرع يحضر لى التليفون وهو ينظر
للسقف فى حيرة متوقفاً أن ينهار بين لحظة وأخرى ..
أدرك الرقم الرهيب .. والمطمئن برغم ذلك - ٢٠٢ .. ٢٠٢ ..
وانتظرت برهة دون جدوى .. لا حرارة على الإطلاق ..

إن المصائب لا تأتي فرادى ..
سأحاول طلب الشرطة من شقة اللواء (محمد حليم)
إذن ..

هرعت للباب على حين وقفت الفتيات الخمس - بنات
الأستاذ (زكريا) - يرمقن المشهد فى حيرة ، فصاح فيهن
أن يدخلن حجراتهن كأنه يهش ذباباً ، وعند الباب توقفت
وتراجعت خطوة للوراء ..

لقد أدركت أننا فى مأزق ..

مأزق حقيقى ..

كان هناك شاب أسبوى الملامح ، يرتدى قميصاً وبنطلوناً
مُتسخين ، يقف على باب الشقة حاملاً نصلاً كئيب الشكل ..
وفى تودة أشار لى أن ألزم مكانى ولا أتحرك ...!

- « ما هذا ؟ .. من هو ؟ .. » .

تغالت الصيحات متسائلة .. أما أنا فأغلقت الباب وعدت
إلى داخل الشقة وأشعلت سيجارة وأنا أجلس على الأريكة
مُفكك الأوصال .. إذن لم يأت وحده !

- « د . (رفعت) .. من هذا الرجل ؟ .. ماذا يريد ؟ » .

رفعت رأسى ببطء شديد وكأنتى كنت أحلم ..
وفى غموض همست :

- « لقد جاءوا خلفه ! » .

★ ★ ★

١٠ - الخاتمة ..

لقد جاءوا خلفه !..

لم يكن (جينغ - تشا) هو الوحيد الذى اجتاز الزمان
والمكان باحثًا عن الكاهن الأخير .. بل تبعه بعض رهبان
الـ (ماهايانا) ليشدوا من أزره .. لا يحتاج المرء لكثير
نكاء كي يدرك أننا محاصرون ..
ربما البناية كلها محاصرة ..

وهذا يعنى أننا رهائن مُسخرة للضغط على (هن - تشو
- كان) كي يسلم الكتاب الثمين لهم ، ولقد لعبوا لعبتهم
بذكاء حق .. أدركوا أن الكاهن الأخير لن يُهزم .. وإذا هُزم
فلن يستسلم ولن يتكلم ..

ولم تكن هنالك سوى طريقة واحدة للضغط عليه ، تلك
الطريقة التى فبررت من شقتى كي لا أمنحها لـ (جينغ -
تشا) .. استخدام الآخرين ..

الهاتف ؟.. هل نسيت أنه معطل ؟.. وأنهم هم معطلوه
دون أدنى شك ...

لقد فهم هؤلاء الأوغاد مفردات عصرنا وأهمية الهاتف
بسرعة ... أسرع مما ينبغي في الواقع ..

والآن .. أملنا الوحيد هو أن نغلق أبوابنا وأن نرجو
التوفيق للكاهن الأخير في معركته المصيرية التي تدور
فوق رؤوسنا .. ربما لو سلم لهم الكتاب تكون هنالك
فرصة ..

لكني أشك كثيرًا في ميول هؤلاء السادة السلمية ..
ولا أعتقد أنهم سيشكروني ويوجهون لنا عبارات الاعتذار
وينصرفون ..

المصيبة الحقيقية هي أنني من جلب هذه المصيبة
للبنية ... والآن تواجه عشر أسر ورطة لا مفر منها
فيما يبدو ..



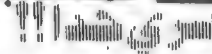
والآن حان الوقت كي أتمنى لكم ليلة سعيدة وأترككم ..
أرى بعضكم يشد كمي .. وأسمع بعضكم يتساعل : وماذا
حدث بعدها ؟ .. هل أنتم حقًا مهتمون بذلك ؟ .. كنت أعتقد
أنكم لن تجدوا ما يثير في حصار بعض البوذيين لسكان
بنية بينما يتصارع كاهنان في إحدى الشقق .. ليكن لكم
ما تريدون ..

سأحكي ما حدث بالتفصيل ..

لكنها قصة طويلة ، وقد قاربت الليلة على الانتهاء ..
إن النوم شيء حيوى للشيوخ مثلى ..
ربما فى الليلة القادمة .. أو ربما ليلة أخرى أستكمل
القصة .. قصة العجلة الثمانية ومومياء (شيان - قه)
الراقدة بين الثلوج ورقصة الموت .. و... و...
لكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل
القاهرة ١٩٩٣

ملف المستقبل



صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|------------------------|------------------------|----------------------|
| ٦٩ - العالم الآخر | ٣٥ - مرآة الغد | ١ - أشعة الموت |
| ٧٠ - الستار الأسود | ٣٦ - الموت الأزرق ج١ | ٢ - اختفاء صاروخ |
| ٧١ - أمير الظلام | ٣٧ - السماء المظلمة ج٢ | ٣ - مدينة الأعماق |
| ٧٢ - ابن الشيطان ج١ | ٣٨ - من وراء النجوم ج٣ | ٤ - غزاة الفضاء |
| ٧٣ - مبعوث الجحيم ج٢ | ٣٩ - الثلوج الساخنة | ٥ - القنبلة الغامضة |
| ٧٤ - الصراع الجهنمي ج٣ | ٤٠ - علامات الخوف | ٦ - زائر من المستقبل |
| ٧٥ - الجولة الأخيرة ج٤ | ٤١ - مملكة النار | ٧ - جنون طائفة |
| ٧٦ - الاحتلال ج١ | ٤٢ - الأرض الثانية | ٨ - الارتجاج القاتل |
| ٧٧ - المقاومة ج٢ | ٤٣ - ثقب في التاريخ | ٩ - صراع الحواس |
| ٧٨ - الصراع ج٣ | ٤٤ - الخارقون | ١٠ - الفارس المجهول |
| ٧٩ - التحدي ج٤ | ٤٥ - السحاب الأحمر | ١١ - منطقة الرعب |
| ٨٠ - النصه د٥ | ٤٦ - الكوكب الملعون | ١٢ - طريق الأشباح |
| ٨١ - رمز القوة | ٤٧ - المقاتل الأخير | ١٣ - الزمن المفقود |
| ٨٢ - حصن الأشرار | ٤٨ - سجن القمر | ١٤ - نداء النجوم |
| ٨٣ - أرض العدم | ٤٩ - غزو الأرض | ١٥ - مثلث القنوض |
| ٨٤ - كنز الفضاء | ٥٠ - الأسطورة | ١٦ - الوباء الجهنمي |
| ٨٥ - الأمل الفيروزي | ٥١ - الخلية القاتلة ج١ | ١٧ - نبض الظلود |
| ٨٦ - الامبراطور | ٥٢ - العدو الخفي ج٢ | ١٨ - ظلال الفزع |
| ٨٧ - نصف إلى | ٥٣ - أمطار الموت | ١٩ - عيون الهلاك |
| ٨٨ - الانفجار الحي | ٥٤ - عبر العصور ج١ | ٢٠ - العقول المعدنية |
| ٨٩ - البركان | ٥٥ - أسرى الزمن ج٢ | ٢١ - أطراف الماضي |
| ٩٠ - رعب في الأعماق | ٥٦ - شيطان الأجيال ج٣ | ٢٢ - ليلة الرعب |
| ٩١ - ضد الزمن | ٥٧ - منطقة الضياع | ٢٣ - بصمات المتحرة |
| ٩٢ - الرحلة الرهيبة | ٥٨ - معركة الكواكب ج١ | ٢٤ - الضوء الأسود |
| ٩٣ - نقطة الصفر | ٥٩ - جحيم أرغوران ج٢ | ٢٥ - صحوة الشر |
| ٩٤ - الساحر | ٦٠ - أرض العمالقة | ٢٦ - لعنة الفضاء |
| ٩٥ - القوة السوداء | ٦١ - الكابوس | ٢٧ - الفخ الزجاجي |
| ٩٦ - بذور الشر | ٦٢ - سادة الأعماق ج١ | ٢٨ - النهر المقدس |
| ٩٧ - لهيب الكواكب | ٦٣ - المحيط الملتهب ج٢ | ٢٩ - الإيقاع المفترس |
| ٩٨ - نيران الكون | ٦٤ - التنيف البلوري ج١ | ٣٠ - النار الباردة |
| ٩٩ - الانفجار | ٦٥ - أبواب الموت ج٢ | ٣١ - رنين الصمت |
| ١٠٠ - الزمن : صفر | ٦٦ - الشمس الزرقاء | ٣٢ - الأفق الأخضر |
| | ٦٧ - شيطان الفضاء | ٣٣ - حارس الأرواح |
| | ٦٨ - عقول الشر | ٣٤ - وحش المحيط |

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :



- | | | |
|-----------------------|-----------------------|------------------------|
| ٦٩ - أجنحة الانتقام | ٣٥ - قرصنة الجو | ١ - الاختفاء الغامض |
| ٧٠ - أباطرة الشر | ٣٦ - نلب الأحرار | ٢ - سباق الموت |
| ٧١ - ضد القانون | ٣٧ - مغلب الشيطان | ٣ - قناع الخطر |
| ٧٢ - شريعة القاب | ٣٨ - لعبة المحترفين | ٤ - صائد الجواسيس |
| ٧٣ - المعتقل الرهيب | ٣٩ - أعماق الخطر | ٥ - الجليد الدامى |
| ٧٤ - الدائرة الجهنمية | ٤٠ - مهنتى القتل | ٦ - قتال الزناب |
| ٧٥ - أسوار الجحيم | ٤١ - الاتحاريون | ٧ - بريق الماس |
| ٧٦ - النهر الأسود | ٤٢ - الهدف القاتل | ٨ - غريم الشيطان |
| ٧٧ - عمالقة مارسييا | ٤٣ - المغاطر | ٩ - أنياب الثعبان |
| ٧٨ - صحراء الخم ج ١ | ٤٤ - العين الثالثة | ١٠ - المال الملعون |
| ٧٩ - صفقة الموت ج ٢ | ٤٥ - القضبان الجليدية | ١١ - المؤامرة الخفية |
| ٨٠ - وكر الإرهاب ج ٣ | ٤٦ - لهيب الثلج | ١٢ - حلفاء الشر |
| ٨١ - الرجل الآخر ج ١ | ٤٧ - الرصاصة الذهبية | ١٣ - أرض الأموال |
| ٨٢ - الأخطبوط ج ٢ | ٤٨ - شيطان المافيا | ١٤ - عملية مونت كارلو |
| ٨٣ - معركة القمة | ٤٩ - الضربة القاضية | ١٥ - إمبراطورية السم |
| ٨٤ - جزيرة الجحيم | ٥٠ - مهمة خائفة | ١٦ - الخدعة الأخيرة |
| ٨٥ - لمسة الشر | ٥١ - سم الكوبرا | ١٧ - انتقام العقرب |
| ٨٦ - الثعلب | ٥٢ - جبال الموت | ١٨ - قاهر العمالقة ج ١ |
| ٨٧ - خط المواجهة | ٥٣ - نلاب وماء | ١٩ - أبواب الجحيم ج ٢ |
| ٨٨ - سفير الخطر | ٥٤ - رحلة الهلاك | ٢٠ - ثعلب الثلوج |
| ٨٩ - قضية السفاح | ٥٥ - ألفى برشلونة | ٢١ - مضيق النيران |
| ٩٠ - الهدف | ٥٦ - عملية الأدغال | ٢٢ - أصابع الدمار |
| ٩١ - الوجه الخفى | ٥٧ - الفهد الأبيض | ٢٣ - فارس اللؤلؤ |
| ٩٢ - الخطر | ٥٨ - إعدام بطل | ٢٤ - الضباب القاتل |
| ٩٣ - أرض العدو | ٥٩ - إنتقام شبح | ٢٥ - الخنجر الفضى |
| ٩٤ - كتيبة الدمار | ٦٠ - دونا كارولينا | ٢٦ - آخر الجبابرة |
| ٩٥ - الصراع الوحش | ٦١ - ملائكة الجحيم | ٢٧ - الجوهرة السوداء |
| ٩٦ - المعركة الفاصلة | ٦٢ - ملك العصابات | ٢٨ - قلب العاصفة |
| ٩٧ - الصقر الأعشى | ٦٣ - الجاسوس | ٢٩ - الصراع الشيطاني |
| ٩٨ - القناص | ٦٤ - تحت الصفر | ٣٠ - الرمال المحرقة |
| ٩٩ - مذاق الدم | ٦٥ - الجليد المشتعل | ٣١ - الخطوة الأولى |
| ١٠٠ - الضربة القاضية | ٦٦ - ألف وجه | ٣٢ - خيط الذهب |
| | ٦٧ - الجحيم المزئوج | ٣٣ - القنوة (أ) |
| | ٦٨ - قلعة الصقور | ٣٤ - ماراد الغضب |

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى
صدر من هذه السلسلة :



- | | | |
|---------------------|----------------------|---------------------|
| ٤٠ - بلا أمل | ٢٦ - وداغا يا حبي | ١ - من أجلك |
| ٤١ - أحلام ضائعة | ٢٧ - حبي المعذب | ٢ - لا تنقل وداغا |
| ٤٢ - أبى الحبيب | ٤٧ - رجل وقلبان | ٣ - قلوب لا تنبض |
| ٤٣ - الحاجز | ٤٨ - الحب الجريح | ٤ - الدموع الباردة |
| ٤٤ - لن أنساك | ٤٩ - الحب والاختيار | ٥ - هي في حياتي |
| ٤٥ - ستبقى في قلبي | ٥٠ - وابستمت الحياة | ٦ - يا قلب لا تغفر |
| ٤٦ - أحبيتك في صمت | ٥١ - اللقاء الأخير | ٧ - النبع الجاف |
| ٤٧ - رجل وقلبان | ٥٢ - عودة الغائب | ٨ - طيور بلا أجنحة |
| ٤٨ - الحب الجريح | ٥٣ - أمواج الحب | ٩ - رسالة حب |
| ٤٩ - الحب والاختيار | ٥٤ - معك دائما | ١٠ - لعبة القدر |
| ٥٠ - وابستمت الحياة | ٥٥ - اغفر لي | ١١ - العصفور الجريح |
| ٥١ - اللقاء الأخير | ٥٦ - لقاء في الغروب | ١٢ - أشجار الحب |
| ٥٢ - عودة الغائب | ٢٨ - لك قلبي | ١٣ - رحلة قلب |
| ٥٣ - أمواج الحب | ٢٩ - الحلم | ١٤ - شمس الليل |
| ٥٤ - معك دائما | ٣٠ - زوجتي | ١٥ - الحب بلا أرقام |
| ٥٥ - اغفر لي | ٣١ - الحب والمعجزة | ١٦ - لقاء الحب |
| ٥٦ - لقاء في الغروب | ٣٢ - وداغا للماضي | ١٧ - المرأة السوداء |
| | ٣٣ - طائر غريب | ١٨ - حب وكرهية |
| | ٣٤ - هذا الرجل | ١٩ - وذاب الجليد |
| | ٣٥ - التقينا من جديد | ٢٠ - حب وسط النيران |
| | ٣٦ - نسمة الصباح | ٢١ - دموع كيوييد |
| | ٣٧ - لن أعود | ٢٢ - أو هام الحب |
| | ٣٨ - الشريك | ٢٣ - نداء قلبي |
| | ٣٩ - أنت قدرى | ٢٤ - حذار من الحب |
| | | ٢٥ - الموعد |



إدارة العمليات الخاصة

المكتب رقم ١٩١

صدر من هذه السلسلة .

- | | | |
|----------------------|---------------------|----------------------|
| ١٠. احتجاز الرهائن | ٢٥. رأس العقرب | ٤٩. صراع الجواسيس |
| ١١. عصابة المزيّفين | ٢٦. مزرعة الموت | ٥٠. سماء الخطر |
| ١٢. الطائرة المفقودة | ٢٧. ذو الوجهين | ٥١. التاج الذهبي |
| ١٣. عصابة المزيّفين | ٢٨. جزيرة الأهوال | ٥٢. العميل المحترف |
| ١٤. مطاردة القناص | ٢٩. اختطاف الجنرال | ٥٣. قصر الشيطان |
| ١٥. المهمة الرهيبة | ٣٠. مثلث الرعب | ٥٤. الهدف الخفى |
| ١٦. هجوم المرتزقة | ٣١. ماسات الشيطان | ٥٥. تحدى الشيطان |
| ١٧. الوثائق السرية | ٣٢. نبات الشر | ٥٦. الأيقونة الصفراء |
| ١٨. مصرع رئيس | ٣٣. لعبة الإرهاب | ٥٧. الملف السرى |
| ١٩. جريمة المهرجان | ٣٤. الكنز المفقود | ٥٨. ساعة الصفر |
| ٢٠. الفاز القاتل | ٣٥. اللعنة السوداء | ٥٩. خريطة الموت |
| ٢١. العملية الكبرى | ٣٦. العميل الهارب | ٦٠. المنظمة السرية |
| ٢٢. مجوهرات المهرجا | ٣٧. ذراع الأخطبوط | ٦١. وكر الشبح |
| ٢٣. نادى القتلة | ٣٨. سرقة الاختراع | ٦٢. صاعقة الموت |
| ٢٤. الخفاش الأزرق | ٣٩. تحدى المافيا | ٦٣. كرة النار |
| | ٤٠. كهف الشيطان | ٦٤. سر أبى الهول |
| | ٤١. قرية الرعب | ٦٥. أشعة الظلام |
| | ٤٢. ضحايا الشيطان | ٦٦. صراع فى الأدغال |
| | ٤٣. دُخان الدمار | |
| | ٤٤. الحقيبة الزرقاء | |
| | ٤٥. المصنع السرى | |
| | ٤٦. الثعلب والأفعى | |
| | ٤٧. مدينة الأشرار | |
| | ٤٨. العدو الغامض | |

روايات د. نبينا الحبيب



سلسلة نونا للنحبال العلمي

قصص من عالم الغد

رؤوفٌ وصبرٌ في

- | | |
|----------------------------|------------------------|
| ١ - غزو من عالم آخر . | ٧ - اغتيال كمبيوتر . |
| ٢ - الإنسان الآلى القاتل . | ٨ - الفيروسات الذكية . |
| ٣ - أشباح فى الفضاء . | ٩ - هجوم الزواحف . |
| ٤ - رعب تحت المجهر . | ١٠ - ثورة الريبوت . |
| ٥ - سر كتاب الموتى . | ١١ - الرحلة الرهيبة . |
| ٦ - الحب المستحيل . | ١٢ - إنتقام الروبوت . |

★ تحت الطبع ★

- | | |
|-------------------------|--------------------------|
| ١٣ - قيثارة الموت . | ١٧ - المؤامرة الكونية . |
| ١٤ - شواطئ الأبدية . | ١٨ - مذنب الدمار . |
| ١٥ - الرعب الإلكتروني . | ١٩ - الرعب الآلى . |
| ١٦ - سحابة الموت . | ٢٠ - الكمبيوتر .. يحكم . |